الكواكب المنيرة فيما جاء في الغيرة

يتناول هذا الكتاب معنى الغيرة في ضوء الكتاب والسنة، مع نماذجها في سيرة النبي ﷺ وصحابته وأمهات المؤمنين والسلف الصالح، ويبين آثار فقدانها، ويفرق بين المحمود منها والمذموم، محذرًا من الدياثة وضعف الغيرة، ومبرزًا مكانتها في حفظ الدين والعرض والشرف.

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع الوزني الحوباني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

الكواكب المنيرة
فيما جاء في الغيرة

الْكَوَاكِبُ الْمُنِيرَةِ

فِيمَا جَاءَ فِي الْغَيْرَةِ

يَتَنَاوَلُ هَذَا اَلْكِتَابُ مَعْنَى اَلْغَيْرَةِ فِي ضَوْءِ اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مَعَ نَمَاذِجِهَا فِي سِيرَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ وَصَحَابَتِهِ وَأُمَّهَاتِ اَلْمُؤْمِنِينَ وَالسَّلَفِ اَلصَّالِحِ، وَيُبَيِّنُ آثَارَ فَقْدَانِهَا، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ اَلْمَحْمُودِ مِنْهَا وَالْمَذْمُومِ، مُحَذِّرًا مِنَ اَلدِّيَاثَةِ وَضَعْفِ اَلْغَيْرَةِ، وَمُبْرِزًا مَكَانَتَهَا فِي حِفْظِ اَلدِّينِ وَالْعِرْضِ وَالشَّرَفِ.

تأليف

أَبِي الْمُنْذِرِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ الْجَلِيلِ الْحَوْبَانِي

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

الشريف للطباعة

مراجعة تنسيق صف إخراج

+966554298657 - +967779555171

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م.

دار الإمام الشافعي للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان

+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ – +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي

+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢

حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي

+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ – +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨

حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم . ومدرسة شحوح للبنين

+٩٦٧٧٧٨٣٢٤٦٥١٣

alshafibooks@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمدُ لله الغيورِ على محارمِهِ، الذي صانَ حدودهُ بحكمتِهِ، وأحاطَ شرعَهُ بعنايتِهِ، فحرَّمَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ بحكمتِهِ ورحمتِهِ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، غارَ على أوليائِهِ فحماهم، وأدَّبَ عبادَه فهداهم، وجعلَ الغيرةَ في القلوبِ نورًا يَقيها من ظلمةِ الشهواتِ والزللِ.

وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، أغيرُ الناسِ على حرماتِ ربِّه، أقامَ الدينَ بغيرةٍ صادقةٍ، ونشرَ الفضيلةَ بحكمةٍ بالغةٍ.

صلّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبِهِ الأخيارِ، الذين غاروا لدينِ الله فحمَوا الأعراضَ وصانوا الشرعَ عن الانحرافِ والابتذالِ.

فما بُنيتِ المروءةُ إلا على الغيرةِ، ولا استقامتِ الفطرةُ إلا بحيائها، ولا عاشَ القلبُ إلا بخشيتِهِ وحرصِهِ على محارمِ الله.

فمن ذهبت غيرتُهُ ماتَ قلبُه، ومن عاشَ بها أحياهُ اللهُ بنورِ الإيمانِ والهدى، فسبحانَ من جعلَ الغيرةَ شرفَ المؤمنِ وزينةَ الإحسانِ، وجعلَها في القلبِ حرزًا للأمةِ من الفسادِ والخذلانِ.

أما بعد:

فإن الغيرة خُلق عظيم من أخلاق الإسلام، بها تحفظ الحرمات وتصان الأعراض، وتُسدّ أبواب الفتن، وتُحفظ المجتمعات من الانهيار.

وقد جاءت نصوص الوحيين ببيان مكانتها، ومن شدة ارتباط الغيرة بالإيمان أن الشرع رتب على فقدها مقت الله وسخطه، بل توعّد صاحبها بالحرمان من الجنة.

وكان العرب قبل الإسلام يعدّون الغيرة من دلائل المروءة والشرف، ويذمون الديوث الذي لا يغار على أهله، فجاء الإسلام فأكّد ذلك وضبطه بالشرع، فمدح الغيرة المحمودة ونهى عن المذمومة.

وقد ضرب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وأصحابه أروع الأمثلة في الغيرة على محارم الله والأعراض، حتى كان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مضرب المثل في شدتها، وكان سعد بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مشهورًا بها.

وقد خلّدت كتب السنة والآثار والتاريخ أخبارهم في هذا الباب، مما يدل على أن الغيرة أصل ثابت في الدين، لا يتم الإيمان إلا به، ولا تستقيم حياة المجتمعات دونه.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٢٠ ط عطاءات العلم): والغيرة منزلةٌ شريفةٌ عظيمةٌ جدًّا، جليلة المقدار. اهـ

قلت: أن المتأمل في واقع المسلمين اليوم يرى أن الغيرة قد ضعفت في نفوس كثير من الناس، فانتشر التبرج والسفور، وكثر الاختلاط، وتهاونت الأسر في أبواب الحياء والعفاف، بل صار الغيور يوصف بالتشدد، وصارت الغيرة عند بعض الناس رجعية وتخلفًا، حتى انقلبت الموازين، وضاعت المروءة، وضعف الحياء.

وهذا مما يزيد الحاجة إلى إحياء الحديث عن هذا الخلق العظيم، وبيان مكانته في الشرع، وخطر فقده على الأفراد والمجتمعات.

ومن هنا جاء هذا البحث الموسوم بـ: «الكواكبُ المنيرةُ فيما جاءَ في الغيرة» فقد اخترتُه لما في الكواكب من دلالةٍ على الإشراق والهداية في ظلمات الليل، فكذلك الغيرةُ نورُ القلوبِ في زمنِ الفتنة، تُضيءُ دربَ الإيمان وتكشفُ ظلامَ الشهوات، فهي كالكواكبِ التي تهدي الحائرَ في الفلاة، وتذكِّرُ المؤمنَ بأن الغيرةَ زينةُ الإيمانِ وعزُّ الرجولةِ وكرامةُ الأنثى، ومن فقدها فقدَ شرفَه ودينَه معًا.

وقد كان بذرُ فكرة التأليف الأولى يومَ كنا في دارِ الحديثِ بدماج قبل سنين، إذ دار بيني وبين بعضِ المشايخ الفضلاءِ حديثٌ حول موضوع الغيرة، فسألتُ: هل ألّف أحدٌ فيها تأليفًا مستقلًّا جامعًا؟ فقال: لا أعلم من كتب فيها، وإن كانت مادّتُها مبسوطةً في بطونِ كتبِ السنة والآثار، ثم أخذنا نتذاكرُ شيئًا من نصوصها وشواهدها، فقال لي بعضهم: لو أنك يا أبا المنذر تكتب في هذا الباب لجاء كتابًا نافعًا؛ فقلَّ من تناول الغيرة بحثًا شاملًا متكاملًا.

فوقع في قلبي عزمُ التأليف في هذا الباب، وبدأتُ أكتبُ فيه صفحاتٍ منثورةً أيامَ دماج، حتى إذا فارقناها قسرًا بقيَ هذا المشروعُ في الأدراج، أزوره حينًا وأهجُره حينًا، حتى قيَّض اللهُ عَزَّوَجَلَّ لي العزمَ من جديد، وشدَّ أزري لإتمامه، فحمدتُه على ما يسَّر وأعان، وها هو اليوم يخرج إلى النور بعد طولِ مكثٍ وصبرٍ.

ولا أزعمُ أني استوعبتُ كلَّ ما ورد في هذا الباب العظيم، فمادته في القرآن

والسنة أوسعُ من أن يُحاط بها، إذ كلُّ آيةٍ تنهى عن الفواحش فهي من الغيرة، وكلُّ هلاكٍ لأمةٍ بسببِ انحرافها عن حدود الله فهو شاهدٌ على غيرته سبحانه، وكلُّ حديثٍ يأمرُ بالستر والعفاف والنهي عن التبرج والاختلاط فهو من باب الغيرة على الدين والعِرض.

وإنما هذا العملُ نواةٌ جامعةٌ ومجموعةُ كواكبٍ أرجو أنها مضيئةٍ من سماءِ النصوص والآثار، قصدتُ به التذكيرَ لا الإحصاء، والإيقاظَ لا الاستيعاب، رجاءَ أن يكون لبنةً يُبنى عليها، ومفتاحًا يُفتح به هذا الباب لمن أراد التوسّع والبحث.

ولعلِّي قد فاتني الكثيرُ مما لم أقف عليه أو غاب عن نظري، وما ذلك عن تقصيرٍ في الحرص، ولكن عن قصدٍ ألا أُطيل أو أُمل، إذ الغرض جمعُ النور لا إحصاءُ الشوارد، والعبرةُ بإحياء هذا الخُلق في النفوس، لا بعدِّ النصوص.

وأسألُ اللهَ تعالى أن ينفعَ بهذا الجهد، وأن يجعله خالصًا لوجهِهِ الكريم، وأن يرزقَ الأمةَ الغيرةَ على دينِها وأعراضِها كما كانت عندَ سلفِها الصالح، وأن يُحيي بها القلوبَ الميتةَ، ويجعلها نورًا للمؤمنين في زمنٍ كثرت فيه الفتنُ وغارت فيه الغيرة.

وكتبه: أبو المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع غالب الوريفي الحوباني

في ٧/ ١٠/ ١٤٣٢ للهجرة في دار الحديث – دماج – اليمن.

وكانت المراجعة النهائية للكتاب في تاريخ٢٩/ ٦/ ١٤٤٧ من الهجرة النبوية

دار الحديث السلفية بشحوح–سيئون–حضرموت.

باب تعريف الغيرة

تعريف الغيرة لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِي الْغَيْنُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى صَلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ وَمَنْفَعَةٍ، وَالْآخَرُ عَلَى اخْتِلَافِ شَيْئَيْنِ فَالْأَوَّلُ الْغِيرَةُ، وَهِيَ الْمِيرَةُ بِهَا صَلَاحُ الْعِيَالِ، يُقَالُ: غِرْتُ أَهْلِي غِيرَةً وَغِيَارًا، أَيْ: مِرْتُهُمْ، وَغَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالْغَيْثِ يَغِيرُهُمْ وَيَغُورُهُمْ، أَيْ: أَصْلَحَ شَأْنَهُمْ وَنَفَعَهُمْ، وَيُقَالُ: مَا يَغِيرُكَ كَذَا، أَيْ: مَا يَنْفَعُكَ. قَالَ:

مَاذَا يَغِيرُ ابْنَتَيْ رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا ... لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْغَيْرَةُ: غَيْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ، تَقُولُ: غِرْتُ عَلَى أَهْلِي غَيْرَةً، وَهَذَا عِنْدَنَا مِنَ الْبَابِ؛ لِأَنَّهَا صَلَاحٌ وَمَنْفَعَةٌ. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (٢/ ٥٣٠): الْغَيْرَةِ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَهِيَ فِي اللُّغَةِ: تغير يَحْصُلُ مِنَ الْحَمِيَّةِ وَالْأَنَفَةِ، وَأَصْلُهَا فِي الزَّوْجَيْنِ وَالْأَهْلَيْنِ. اهـ

تعريف الغيرة شرعا:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «روضة المحبين» (ص٤١١ ط عطاءات العلم): وأصل الغيرة: الحميَّةُ، والأنفةُ، والغيرة نوعان: غيرةٌ للمحبوب، وغيرة عليه، فالغيرة له فهي الحمية له، والغضب له إذا استهين بحقه، وانتُقصت حرمته، وناله مكروه من عدوه، فيغضب له المحب ويحمى وتأخذه الغيرة له بالمبادرة إلى

التغيير ومحاربة من آذاه، فهذه غيرة المحبين حقًّا، وهي غيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشرك به، واستحل محارمه، وعصى أمره. اهـ (١)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ٤١٩ ط عطاءات العلم): ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]: منزلة الغيرة. اهـ

التعريف العرفي والأخلاقي للغيرة:

التعريف العرفي:

العرف الجاري بين الناس أن الغيرة هي انزعاج القلب وحرارته عند مشاركة الغير فيما هو حقٌّ خاص بالإنسان، كغيرة الرجل على أهله وأولاده، وغيرة المرأة على زوجها، وغيرة الإنسان على عرضه وسمعته، وهي حارس فطري أودعه الله

---

(١) فائدة:

سئل الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «لقاء الباب المفتوح» (٨٠/ ١٦ بترقيم الشاملة آليا) فقال السائل: فضيلة الشيخ! ذكر الإمام النووي في رياض الصالحين حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن الله يغار وغيرة الله هي أن يأتي المرء ما حرم الله عليه» وذكر وقال يقصد بالغيرة: الأنفة، فهل هذا يعتبر من باب التأويل؟

الجواب: هذا ليس من باب التأويل؛ لأن الغيرة هي الأنفة في الواقع، يغار الإنسان، أي: يأنف أن يشاركه أحد في هذا العمل، أو يأنف أن يعمل أحد هذا العمل، أو ما أشبه ذلك، فالذي يظهر لي: أن هذا تفسير بالمعنى الصحيح. اهـ

في النفوس لصيانة الكرامة وحماية الحرمات.

التعريف الأخلاقي:

من جهة الأخلاق، فالغيرة خُلق كريم، وعاطفة شريفة، تدل على كمال المروءة وصحة الفطرة، وهي من أمهات الفضائل التي تحفظ للمجتمع عفته ونقاءه، وقد عُدّت الغيرة عنوانًا على حياة القلب، ودليلًا على كرامة النفس، فلا يرضى صاحبها أن تُدنّس الحرمات أو يُنال من الأعراض بسوء، وهي سياج للأخلاق ومظهر من مظاهر المروءة التي ترفع قدر الإنسان في أعين الناس.

ولذا كان فقدان الغيرة علامة على الدياثة وخسة الطبع، إذ لا يأبه صاحبها بمنكر ولا يستنكر فسادًا، فيقع في أحطّ درجات المهانة.

والغيرة بهذا الاعتبار منبع للفضائل الاجتماعية؛ فهي التي تحفظ الأسرة من الانهيار، وتصون الأنساب من الاختلاط، وتغرس في النفوس مهابةً تمنع التجرؤ على الحرمات، وقد اتفق العقلاء على أن المجتمع الذي تفشو فيه الغيرة مجتمعٌ عزيزٌ طاهر، أما إذا ضعفت الغيرة فيه سقطت القيم وتجرأ الناس على المحرمات.

ولهذا جاء الإسلام مثبتًا لهذا الخلق، مزكّيًا له، دالًا على مكانته، حتى صار من دلائل الإيمان وصحة القلب، كما سيأتي بيان نبذة من ذلك في موضعه.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «روضة المحبين» (ص٤١١ ط عطاءات العلم):

الغيرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب، وماله، وعرضه لمحبوبه حتى يزول ما يكرهه، فهو يغار لمحبوبه أن تكون فيه صفةٌ يكرهها محبوبه، ويمقته عليها، أو يفعل

ما يبغضه عليه، ثم يغارُ له بعد ذلك أن يكون في غيره صفةٌ يكرهها ويبغضها

فالدينُ كلُّه في هذه الغيرة، بل هي الدين، وما جاهد مؤمنٌ نفسه، وعدوَّه، ولا أمر بمعروف، ولا نهى عن منكر إلَّا بهذه الغيرة، ومتى خلت من القلب؛ خلا من الدين، فالمؤمن يغارُ لربه من نفسه، ومن غيره إذا لم يكن له كما يحب، والغيرة تصفي القلب، وتخرج خبثه، كما يخرج الكير خبث الحديد. اهـ

باب الغيرة من صفات الله جَلَّ وَعَلَا

إن الغيرة صفة كمال تليق بجلال الله وعظمته، وقد ثبتت في النصوص الصحيحة، إثبات ذلك على ما سيأتي، فإثبات الغيرة لله إنما هو على الوجه اللائق به، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف فهي غيرة منزهة عن النقائص، تدل على كمال محبته لطاعته وبغضه لمعصيته، وحميته على حرماته أن تُنتهك.

ومظاهر غيرته سبحانه لا تُحصى، فكل ما قصه الله في كتابه من إهلاك للأمم الظالمة، وتعذيب للمكذبين، وإهلاك للمعاندين، وصيانة لأنبيائه وأوليائه، كل ذلك من آثار غيرته على دينه وحرماته وأوليائه، ولو أُريد تتبعها في القرآن لكان في ذلك باب واسع جدًّا، إذ القرآن مليء بالآيات التي تجسد غيرة الله على توحيده ودينه وحدوده.

وقد ذكرت هنا بعض ما وردت في النصوص، وبيان أن هذه الصفة ثابتة لله جَلَّ وَعَلَا، وأنها من كمالاته سبحانه، وهي أصلٌ يُربِّي العبد على أن يغار لله كما يغار ربه على محارمه، فيجعل غيرته موافقة لمراد الله، فيغار إذا انتُهكت حدوده، ولا يغار لنفسه وحظوظها الفانية.

ومن لوازم إثبات الغيرة لله جَلَّ وَعَلَا: كراهية أن يقع العبد في المعاصي، أو أن يشرك مع الله غيره فيما هو حقٌّ خالص له سبحانه من الطاعة والعبادة والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، فإن الله سبحانه يغار أن تُنتهك حدوده، أو تُبدَّل شرائعه، أو يُصرف حقه لمخلوق سواه، وهذه الغيرة تقتضي من العبد أن يكون

شديد الحياء من ربه، غيورًا لدينه، كارها أن يراه الله حيث نهاه، أو يفتقده حيث أمره، فإن غيرة الله على محارمه هي التي أوجبت تحريم الفواحش والذنوب، وسد أبواب الفتنة والفساد، وحماية جناب التوحيد من كل شائبة وإليك أدلة أثبات الغيرة لله تعالى:

الحديث الأولى: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ**» رواه البخاري، برقم: (٤٦٣٤)، ومسلم، برقم: (٢٧٦٠).

هذا الحديث أصل عظيم في إثبات الغيرة لله تعالى على الوجه اللائق به، وهي صفة كمال لا نقص فيها، وبيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن غيرة الله هي العلة في تحريم الفواحش كلها ظاهرها وباطنها، فكلما قوي إيمان العبد بغيرة ربه ازداد تعظيمًا لمحارمه وبعدًا عن حدوده، كما أن الله جَلَّ وَعَلَا يحب الثناء والمدح، وهذا من تمام ربوبيته وكمال ألوهيته، فمن مدحه فقد وافق محبته، ومن أعرض فقد خسر.

وفيه رد على من جحد الصفات، إذ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أثبتها صراحة بلا تأويل، وفيه أيضًا أن على المؤمن أن يغار لله كما يغار لنفسه وأهله، بل يجعل غيرة الله أعظم في قلبه، فمن فعل ذلك سلم دينه وعرضه.

الحديث الثاني: عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ

صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ فقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الجَنَّةَ» رواه البخاري، برقم: (٧٤١٦)، ومسلم، برقم: (١٤٩٩).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُٱللَّهُ في «شرح السنة» (٩/ ٢٦٩): قيل: الْغيرَة من الله: الزّجر، وَالله غيور، أَي: زجور يزْجر عَنِ الْمعاصِي، وَقوله: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ»، أَي: أَزْجر عَنِ الْمعاصِي مِنْهُ.

قَوْله: «غَيْرَ مُصفحٍ»، أَي: أضربه بحده للْقَتْل والإهلاك، لَا بعرضه للزجر والإرهاب، يقَالَ: وَجه هَذَا السَّيْف مُصفحٌ، أَي: عريض، وصفحا السَّيف وجهاه، وغِرارهُ: حدَّاهُ، ويقَالَ: أصفحته بالسَّيف أصفح بِهِ: إِذا ضَربته بعرضه. اهـ

قلت: يبين هذا الحديث أن الغيرة فطرة في النفوس السليمة، وأنها دليل حياة القلب، وقد أقر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ غيرة سعد بل فضّل نفسه عليها ثم نسب الغيرة الأعظم إلى الله جَلَّوَعَلَا، وهذا يوضح أن مراتب الغيرة متفاضلة.

وفيه بيان حكمة بعثة الرسل: أن الله يغار أن يعذب عباده بغير حجة، فأرسل المرسلين إعذارًا وإنذارًا.

ومن دروسه أن الغيرة لا تعني التهور ولا سفك الدماء، وإنما تُضبط بحدود الشرع وأحكام القضاء، وهو من أبلغ النصوص في بيان أن الشريعة جاءت لحماية

الأعراض وصيانة الفروج.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهَّ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُّ» رواه البخاري، برقم: (٥٢٢٣)، ومسلم، برقم: (٢٧٦١)، وفي رواية أَنّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يَغَارُ، وَاللهُ أَشَدُّ غَيْرًا» رواه مسلم، برقم: (٢٧٦١).

هذا الحديث يختصر معنى الغيرة في أوجز لفظ، فبيّن أن حقيقتها الشرعية أن يجتنب العبد ما حرّم الله، فمن وقع في الحرام فقد خالف غيرة الله، ومن استحيا من ربه وتركه فقد وافق غيرة الله.

وفيه إثبات أن الغيرة صفة لله تعالى، وهي منبع لتشريع الحدود والزواجر، كما أن فيه ربطًا مباشرًا بين الغيرة والإيمان: فكلما قويت الغيرة في قلب المؤمن اشتد تحفظه من المعاصي، وإذا ضعفت وقع في المحرمات، وهو نص يدل على أن الغيرة ليست مجرد عادة أو عرف، بل هي دين وشرع.

وفيه حث للعبد أن يوافق غيرة الله في نفسه وأهله ومجتمعه، حتى يكون من أهل العفة والصيانة.

الحديث الرابع: عن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لاَ شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهَّ» رواه البخاري، برقم: (٥٢٢٢)، ومسلم، برقم: (٢٧٦٢).

هذا الحديث الجليل يبين أن الغيرة صفة من صفات الله جَلَّوَعَلَا، على الوجه اللائق بجلاله، ومعناه: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يرضى أن تنتهك محارمه، فهو أغير من كل غيور.

الحديث الخامس: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَقَامَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يُصَلِّي فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَّ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِّ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا وَادْعُوا اللهَّ، وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِّ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِّ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» رواه البخاري، برقم: (١٠٤٤)، مسلم، برقم: (٩٠١).

هذا الحديث الشريف من أوضح النصوص الدالة على صفة الغيرة لله عَزَّوَجَلَّ، إذ قرن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ذكر الآيات الكونية العظيمة كالخسوف ببيان أعظم الذنوب التي تغضب الله، وهي الفواحش، فبيّن صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أن الله

جَلَّجَلَالُهُ لا شيء أغير منه أن يزني عبده أو تزني أمته، أي: يغار أن تُنتهك محارمه وتُرتكب الفواحش، ومن غيرته شرع الحدود والزواجر حمايةً للأعراض وصيانةً للمجتمعات، وقد جاء الخطاب بأسلوب مؤثر فيه إنذار ووعيد، إذ أقسم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ أن لو اطّلع الناس على ما عند الله من العقوبات والبلايا لبكوا كثيرًا وضحكوا قليلًا، وفيه أن الغيرة صفة كمال لله تعالى، وأنها سبب لحفظ الدين والأخلاق، كما أن فيه تربية للأمة أن تراقب الله في السر والعلن، وأن تعظم محارمه، وأن تعلم أن كل معصية إنما هي تعدٍّ على غيرته سبحانه.

باب نماذج من غيرة الله في القرآن

ومن آثار غيرته جَلَّ وَعَلَا أنه أهلك أقوامًا كثيرين عبر التاريخ لما تعدوا حدوده، وكذبوا رسله، وتمادوا في المعاصي والآثام، وما هذه العقوبات التي قصّها الله في كتابه إلا شواهد على غيرته سبحانه، إذ لا يترك الظلم والفساد بلا جزاء، ولا يُقر الكفر والفواحش بلا عقوبة، وهذه نماذج مختصرة من الآيات الكريمة التي تبين شيئًا من غيرة الله تعالى على دينه وشرعه وعباده المؤمنين فمن أولئك:

غيرته لما أهلك قوم نوح

قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ [نوح: ٢٥]، أهلكهم الله بالطوفان العظيم بسبب إصرارهم على المعاصي وتكذيب رسوله، وهذا من غيرة الله أن لا تُترك محارمه مستباحة ولا يُكذَّب رسوله بلا عقوبة.

غيرته لما أهلك قوم عاد

قال تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [فصلت: ١٦]، سلط الله عليهم الريح العاصف اقتلاعًا لهم وغيرةً على حدوده بعد أن استكبروا وكذبوا نبيه هودًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

غيرته لما أهلك قوم ثمود

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ [الأعراف: ٧٧-٧٨].

جريمة الاعتداء على الناقة كانت تعديًا مباشرًا على أمر الله، فانتقم الله منهم غيرةً على حرماته.

غيرته لما أهلك قوم لوط

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾ [الحجر: ٧٣-٧٤].

لما انتهكوا أعظم المحرمات ووقعوا في الفاحشة، أبادهم الله بغيرة عظيمة على طهارة البشرية.

غيرته لما أهلك فرعون وجنوده

قال تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [القصص: ٤٠]، تكبر فرعون وادعى الربوبية، فغار الله لحقه في الألوهية، فأغرقه وجنده.

غيرته لما أهلك أصحاب الأيكة (قوم شعيب)

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾ [الشعراء: ١٨٩]، لما غشوا في الميزان وأفسدوا في الأرض، غار الله على حدوده فأخذهم بالعذاب المهلك.

غيرته لما أهلك أصحاب مدين

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأعراف:٩١].

هذه الرجفة عقوبة عاجلة، دلالة على غيرة الله على أوامره التي انتهكوها.

غيرته لما أهلك أصحاب السبت

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٦٥]، مسخهم الله قردة لاعتدائهم، وهذا من غيرته أن تُنتهك محارمه بالحيلة على أمره.

غيرته لما أهلك أصحاب الفيل

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الفيل:٢-٤].

غار الله على بيته الحرام أن يُعتدى عليه، فأهلك أبرهة وجنده بتلك العقوبة العجيبة.

غيرته لما أهلك المكذبين جميعًا

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

هذه الآية جامعة تبين أن ما جرى على الأمم جميعًا إنما هو من غيرة الله على حدوده وشريعته، فكان الأخذ مختلفًا والعبرة واحدة.

غيرة الله لما أهلك أصحاب القرية

قال تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم
مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ
١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ
إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم
مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ
قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١
وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ
ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ
٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ
٢٦﴾ [يس: ١٤-٢٦].

كذبوا الرسل الثلاثة، وقتلوا المؤمن الذي ناصرهم، فجاءهم العذاب صيحة واحدة فأصبحوا خامدين، وهذه غيرة الله على رسله ودينه.

غيرة الله لما أهلك أصحاب الأخدود

قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦﴾ [البروج: ٤-٦].

لما فتنوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم في الأخاديد، غار الله لجنوده وأوليائه، وأعدّ لهم عذاب جهنم العظيم.

غيرة الله لما أهلك بني إسرائيل العصاة

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، لما خالفوا أوامر الله وقتلوا أنبياءه وكذبوا رسله، عاقبهم باللعن والقسوة والتيه، وذلك من غيرة الله على عهده ودينه.

غيرة الله لما أهلك النمرود

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، تجرأ النمرود على مقام الألوهية فجادل إبراهيم في ربه، فأهلكه الله ببعوضة صغيرة، فكانت آية من آيات غيرته على توحيده.

غيرة الله لما أهلك أصحاب الرس

قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ [الفرقان: ٣٨]، أهلكهم بسبب تكذيبهم وإعراضهم، وهذا من غيرته سبحانه أن يُكذّب رسله بلا عقوبة.

غيرة الله لما أهلك بني إسرائيل الذين عبدوا العجل

قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، لما عبدوا العجل عاقبهم الله بأن يقتل بعضهم بعضًا، وهذه عقوبة عظيمة من غيرته على التوحيد.

باب نماذج من السنة مما هو بمعى الغيرة

وإذا تأمّل اللبيب نصوص السنّة النبوية، وجد أن مظاهر الغيرة لله تعالى متعدّدة الصور، متنوّعة المواقف، لا تكاد تُحصر لكثرتها، إذ تتجلّى في كل موطنٍ يُنتصر فيه لدين الله، ويُغار فيه على حدوده، ويُدافع فيه عن نبيّه وأوليائه، أو يُهلك فيه الله من بغى على شرعه، وتطاول على حرماته، فكم من موطنٍ ظهرت فيه الغيرة الإلهية في صورة نصرٍ عاجل، أو انتقامٍ عادل، أو عقوبةٍ سماوية، أو حمايةٍ ربانية لعباده الصالحين.

وسأكتفي هنا بذكر بعض النماذج من السنة المطهّرة التي تجلّت فيها الغيرة لله تعالى نصًّا أو معنى، إشارةً إلى ما عداها من أبواب كثيرة لا تكاد تُعدّ، ولو أردنا استقصاءها لما وسعها سفرٌ ولا حصرها قلم، فإن كل موضعٍ في السنّة فيه انتقامٌ من طاغٍ، أو حفظٌ لوليٍّ، أو نصرةٌ لدينٍ، أو صيانةٌ لمحرمٍ، فذلك من آثار غيرة الله جل جلاله على دينه وعباده، فإليك بعض ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟، قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟، فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ

عُضْوًا عُضْوًا»، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ
«﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾» [العلق:٦-١٩].

زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ: يَعْنِي قَوْمَهُ. رواه مسلم، برقم: (٢٧٩٧).

هذا الحديث من أوضح دلائل الغيرة الإلهية على نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ همَّ أبو جهل أن يطأ على عنقه وهو ساجد لله، فحال الله بينه وبينه، ورأى خندقًا من نار وملائكة تذوده، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» فكانت تلك غيرةً من الله على رسوله وعبادته أن تُهان، ونصرةً عاجلة لعبده المصطفى، وفيها بيان أن الله تعالى يغار على أوليائه فيدافع عنهم، ويكبت أعداءهم، ويُظهر عظمته في نصرة الحق وإذلال الطغاة.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً رَجُلًا إِلَى رَجُلٍ مِنْ فَرَاعِنَةِ الْعَرَبِ: أَنِ ادْعُهُ لِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ»، قَالَ: فَأَتَاهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوكَ، قَالَ: أَرَسُولُ اللهِ؟ وَمَا اللهُ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ ؟ أَمِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟ فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ

أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ**»، فَرَجَعَ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَقَالَةَ الأُولَى، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ الْجَوَابِ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**ارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ**»، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَرَاجَعَانِ الْكَلَامَ بَيْنَهُمَا إِذْ بَعَثَ اللهُ سَحَابَةً حِيَالَ رَأْسِهِ، فَرَعَدَتْ وَوَقَعَتْ مِنْهَا صَاعِقَةٌ فَذَهَبَتْ بِقَحْفِ رَأْسِهِ، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣]. رواه النسائي في الكبرى (١١٢٥٩) هو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٢١).

هذا الحديث مثال جليل على الغيرة الإلهية على جلال الربوبية؛ إذ تجرأ ذلك المتكبر الجاهل فسأل استهزاءً: «أمِن ذهب هو؟ أم من فضة هو؟»، فصبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليه رحمةً منه ورجاءً لهدايته، لكن الله تعالى غار على اسمه العظيم أن يُهان، وعلى جنابه أن يُستهزأ به، فأنزل عقوبته من السماء، وأرسل صاعقةً أحرقت رأسه وأهلكته في لحظة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣]، وفي هذا أعظم شاهدٍ على أن الله يغار على توحيده أن يُمسّ، وعلى كبريائه أن يُنتهك، فيعاجل المستهزئين بعقوبته، ويذلّهم كما أهانوا ذكره.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ، قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**» رواه

البخاري، برقم: (٤٦٦٣)، ومسلم، برقم: (٢٣٨١).

هذا الحديث مشهد عظيم من **غيرة الله على أوليائه وحفظه لأنبيائه**، ففيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبا بكر اختفيا في الغار والمشركون فوق رؤوسهما، حتى قال أبو بكر: لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مطمئنًا بوعد ربه: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**» فتجلت هنا الغيرة الربانية في صورة الحماية والرعاية؛ إذ غار الله على نبيه وصاحبه أن يُمسّا بأذى، فستر أبصار أعدائهم، وألقى السكينة في قلوب أوليائه، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» رواه البخاري، برقم: (٣٤٨٥)، ومسلم، برقم: (٢٠٨٨)، واللفظ له.

هذا الحديث يظهر فيه الغيرة الإلهية على كبريائه وجلاله؛ إذ أن ذلك الرجل لما أعجب بنفسه وتبختر في مشيته، نازع الله في صفة العظمة التي لا تليق إلا به، فغار سبحانه على عظمته، فخسف به الأرض جزاء كِبره، وجعله يتجلجل فيها إلى قيام الساعة، فهي غيرة ربانية على حقه في العظمة، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**» رواه مسلم، برقم: (٢٦٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكان هذا الخسف مظهرًا من مظاهر الغيرة الإلهية التي تحفظ حدود التوحيد

وتؤدب المتكبرين.

وعن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ، قَالَ: ادْعُ اللهَّ لِي وَلَا أَضُرُّكَ فَدَعَا لَهُ، قَالَ: فَعَطِشَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَمَرَّ بِرَاعٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَخَذْتُ قَدَحًا فَحَلَبْتُ فِيهِ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، فَأَتَيْتُهُ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ. رواه البخاري، برقم: (٣٩٠٨)، ومسلم، برقم: (٢٠٠٩).

هذا الحديث يحمل صورة بديعة من غيرة الله تعالى على نبيّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وحفظه له؛ إذ لما تبع سراقةُ بن مالك النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يريد إبلاغ قريش بمكانه وهو في طريق الهجرة، دعا عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فساخت قوائم فرسه في الأرض، فعجز عن الوصول إليه، فكانت تلك آية من آيات الحماية الإلهية.

فالله سبحانه غار على نبيّه أن يُنال منه بسوء، فأظهر قدرته في لحظةٍ عاجلةٍ بحبس الفرس وإذلال صاحبها، ثم لما استجار سراقة بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ رقّ له قلبه ودعا له، فنجا، فاجتمع في الموقف الغيرة الإلهية في الحماية، والرحمة النبوية في العفو، ليظهر كمال العناية الإلهية بنبيه الكريم في أدق مراحل الدعوة.

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ

ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا»، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. رواه مسلم، برقم: (١٧٧٧).

هذا الحديث مشهد عظيم من الغيرة الإلهية على نبيّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ودينه، ففي يوم حُنين حين اضطربت الصفوف وولّى بعض المسلمين، ثبت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وحده في الميدان، غير هيّاب ولا مرتاب، فأنزل الله نصره المؤزر، أخذ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قبضة من تراب فرماها في وجوه الكافرين وهو يقول: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فما من أحدٍ منهم إلا امتلأت عيناه ترابًا، فولّوا مدبرين وانهزم جمعهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٢٦]، وهكذا ظهرت الغيرة الربانية في نصرة الحق وإبطال كيد الباطل، حيث غار الله على دينه ورسوله أن يُغلب أو تُعلو كلمة الكفر، فبدّل الهزيمة نصرًا، والخوف أمنًا، والذل عزًّا.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**» رواه البخاري، برقم: (٢١١٨)، ومسلم، برقم: (٢٨٨٤).

هذا الحديث مثال واضح على الغيرة الإلهية على حرمة بيته العتيق، إذ أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن جيشًا يقصد الكعبة في آخر الزمان، فيخسف الله بهم في بيداء من الأرض قبل أن يبلغوها، فيُهلك أولهم وآخرهم، وهذه العقوبة ليست إلا من شدة غيرة الله على بيته أن يُنال بسوء، وعلى حرمة التوحيد أن تُنتهك، وقد بيّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن الهلاك يصيب الجميع، ثم يُبعثون على نياتهم، ليظهر عدل الله في الجزاء، وتمام غيرته على حرماته، فهي غيرة ربانية تجمع بين العدل والانتقام، تحفظ بها قداسة الحرم وتصون بها شعائر الدين.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض، أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ، إِذَا سَجَدَ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» وَعَدَّ السَّابِعَ، فَلَمْ يَحْفَظْ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ. رواه البخاري، برقم: (٢٤٠)، ومسلم، برقم: (١٧٩٤).

هذا الحديث مشهد مؤثر من الغيرة الإلهية على نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونصرته له، فقد اجتمع طغاة قريش يستهزئون بالنبي وهو ساجد لله عند الكعبة، فوضع أشقاهم سلا الجزور على ظهره الشريف في غاية الإهانة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صابر محتسب لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فأزالت الأذى عنه، فلما فرغ من صلاته دعا عليهم ثلاثًا، فاستجاب الله دعاءه، وأراهم قدرته غيرَ بعيد، فكانوا جميعًا صرعى في قليب بدر، إنها غيرة ربانية تدافع عن مقام النبوة، وتنتقم ممن تطاول على صاحبها، ليبقى الدين محفوظًا، والجناب النبوي مصونًا، وليُعلم أن الله يغار على أوليائه، فيمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا

فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» رواه البخاري، برقم: (٦٥٠٢).

هذا الحديث القدسي من أعظم ما يُبيِّن **غيرة الله تعالى على أوليائه ومحبوبيه**؛ إذ يقول سبحانه: **«من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»**، أي أعلن الله الحرب على من آذى عبدًا صالحًا من عباده، وهذه أبلغ صور الغيرة الربانية، أن يتولى الله بنفسه الدفاع عن أوليائه، ثم يبيّن جَلَّ وَعَلَا منزلة عبده المحبوب الذي تقرّب إليه بالفرائض والنوافل حتى أحبه، فيصير محفوظًا بعين الله، مسددًا في سمعه وبصره ويده ورجله، يُعطى إذا سأل، ويُجار إذا استجار، فهي غيرة المولى على أوليائه، غيرة محبةٍ وحمايةٍ، يُدافع عنهم، ويكره أن يُساء إليهم، ويكره لهم ما يكرهون لأنفسهم، فسبحانه الغيور على عباده المؤمنين.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ»** فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ، قَالَ: **«نَعَمْ»**، قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: **«قُلْ»**، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ.

وحَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: أُرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: نَعَمِ ارْهَنُونِي، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟

قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ؟ فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ، قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلَاحَ فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ: امْرَأَتُهُ أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو، قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ، قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ.

قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٌو، قَالَ: سَمَّى بَعْضَهُمْ، قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ.

فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ، وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو، قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ عَمْرٌو، فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ، قَالَ: نَعَمْ فَشَمَّهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي، قَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ.
رواه البخاري، برقم: (٤٠٣٧)، ومسلم، برقم: (١٨٠١).

هذا الحديث يبرز الغيرة الإلهية على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ودينه، فقد كان كعب بن الأشرف رأسًا في النفاق والعداوة، يؤذي الله ورسوله بالقول والفعل،

يحرّض على المؤمنين، ويشبّب بنساء المسلمين، ويهجو النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هجاءً خبيثًا، فغار الله تعالى على نبيّه ودينه وأعراض عباده، فأمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بإزالته، فقال: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللّهَ وَرَسُولَهُ**» فكانت الغيرة هنا غيرةً على حرمة الرسالة وهيبتها، وصيانةً للدين من لسان فاجرٍ طاغٍ، فقام محمد بن مسلمة ومن معه في طاعةٍ لله ورسوله، فنالوا شرف الذبّ عن جناب النبوة، وهكذا كانت العقوبة منسجمة مع عظم الجريمة، إذ لا يُترك من يؤذي الله ورسوله، فغيرة الله تقتضي نصر أوليائه، وكبت أعدائه، وحماية بيضة الإسلام من كل متطاول.

باب غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا انتُهكت محارم الله

إن من أعظم وجوه الكمال في شخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان أكمل الناس غيرةً لله تعالى، فقد جمع بين الحلم وسعة الصدر من جهة، وبين شدة الغيرة إذا انتُهكت محارم الله من جهة أخرى، فكان في أمور نفسه أرحم الناس وأحلمهم، يعفو عمن ظلمه، ويصفح عمن أساء إليه، فلا ينتقم لنفسه ولا يثور لغرض شخصي، لكن إذا انتهكت حرمات الله تعالى لم يقم لغضبه شيء، إذ كان يغضب لله غضبًا يملأ وجهه هيبةً ووقارًا، نصرةً للحق وصيانةً للدين.

وهذه الغيرة المحمودة تميزت بالعدل والاعتدال؛ فهي ليست انفعالًا عاطفيًا مجردًا، وإنما انطلاق من قلبٍ ممتلئ بالإيمان، يقدم رضا الله على حظوظ النفس.

ومن هنا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المثل الأعلى في الغيرة المشروعة، التي تضبطها الشريعة، وتُهذبها الأخلاق، وتُعلِّم الأمة أن الغضب لله عَزَّوَجَلَّ من شعائر الإيمان وواجبات الدين.

والمتأمل في الأحاديث التي سنورده بعون الله يجد أن الغيرة لم تُذكر فيها لفظًا صريحًا في كثير منها، ولكنها بانت معنىً من خلال غضبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أو إنكاره القولي والفعلي، وهذه كلها دلائل عملية على غيرته لله تعالى.

وليس فيما ذُكر استقصاء لجميع مواقف غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإنها كثيرة متشعبة، وإنما هي نماذج تُظهر هذا الأصل العظيم في شخصيته الشريفة، وتُبين أن

غيرته لم تكن عاطفة منفلتة، بل كانت منضبطة بالشرع، مقصودة لحماية محارم الله، وصيانة الدين، وحفظ الأمة من الانحراف.

نماذج من غيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إذا انتُهكت محارم الله

غيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لله وليس لنفسه

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا. رواه البخاري، برقم: (٦١٢٦)، ومسلم، برقم: (٢٣٢٧).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه لمسلم» (١٥/ ٨٤): وَانْتِهَاكُ حُرْمَةِ اللهِ تَعَالَى هُوَ ارْتِكَابُ مَا حَرَّمَهُ قَوْلُهَا: «إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ» اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ مَعْنَاهُ: لَكِنْ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَةُ اللهِ انْتَصَرَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَانْتَقَمَ مِمَّنِ ارْتَكَبَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْعَفْوِ وَالْحِلْمِ، وَاحْتِمَالِ الْأَذَى، وَالِانْتِصَارِ لِدِينِ اللهِ تَعَالَى مِمَّنْ فَعَلَ مُحَرَّمًا أَوْ نَحْوَهُ، وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْأَئِمَّةِ وَالْقُضَاةِ وَسَائِرِ وُلَاةِ الْأُمُورِ التَّخَلُّقُ بِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، فَلَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يُهْمِلُ حَقَّ اللهِ تَعَالَى، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْقَاضِيَ لَا يَقْضِي لِنَفْسِهِ وَلَا لِمَنْ لَا يَجُوزُ شَهَادَتُهُ لَهُ قَوْلُهَا. اهـ

قلت: هذا الحديث أصل في باب الغيرة المحمودة، إذ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن يغضب لنفسه، ولا ينتقم لعرضه، وإنما كانت غيرته إذا هُتكت محارم الله، فيغضب غضبًا لله وحده.

وفيه أن الغيرة لله علامة صدق الإيمان وخلوص القصد، وهي تربي المسلم على أن يجعل رضا الله مقدمًا على حظوظ النفس.

غيرته على نساء المؤمنيات

عن فاطمة بنت قيس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في حديث زواجها من أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وفيه قال: وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ»، فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ، وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِّ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ»، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ»، الحديث رواه مسلم، برقم: (٢٩٤٢).

وهذا الحديث من النصوص البليغة في بيان غيرة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ، فهي غيرة ممتزجة بالرحمة والرفق، لا إفراط فيها ولا تفريط.

فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ أراد الخير للمرأة بأن تنتقل إلى بيت أم شريك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، لما عُرفت به من الكرم والنفقة في سبيل الله، لكنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ تدارك الأمر بحكمته وغيرته، إذ تذكّر أن بيت أم شريك كثير الضيفان، وأن ذلك قد يعرّض المرأة لانكشاف شيء من بدنها بغير قصد أمام الرجال، فكره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ هذا الاحتمال، ومنعها من الانتقال، حفاظًا على عرضها وصيانةً لكرامتها.

وهذا الموقف يعلّم أن غيرته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ لم تكن انفعالًا مجردًا، بل

بصيرة نافذة تستشرف العواقب، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم ينتظر وقوع المكروه حتى ينهى عنه، بل سدّ الباب من أوله، وهذه الغيرة هي عين الحكمة، لأنها تحوط المرأة بالستر والكرامة قبل أن يُمسّ عرضها بسوء.

وفيه أن الغيرة المحمودة ليست تشديدًا فارغًا، وإنما وقاية استباقية تحفظ الأعراض وتصون المجتمع من دواعي الفتنة.

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَرْدَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ يَوْمَ النَّحْرِ خَلْفَهُ عَلَى عَجُزِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَ الْفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ وَضِيئَةٌ تَسْتَفْتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَالْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ، فَأَخَذَ بِذَقَنِ الْفَضْلِ، فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رواه البخاري، برقم: (٦٢٢٨)، ومسلم، برقم: (١٣٣٤).

هذا الموقف النبوي الشريف يجمع بين الرحمة والغيرة، والحرص على صفاء القلوب وصيانة الأبصار، فقد كان الفضل بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شابًا حسن الوجه، فلما جاءت امرأة خثعمية وضيئة تستفتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أخذ ينظر إليها فأعجبته، فصرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بيده وجه الفضل بلطف وحزم

في آن واحد، عدل ذقنه عن النظر إليها، وهذا من كمال غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أصحابه وأمته، إذ لم يترك الشيطان ينفذ إلى قلب الفضل بالنظر، كما أنه لم يجرح المرأة أو ينهرها، بل أجاب سؤالها بكل وقار، ففي ذلك بيان أن الغيرة الشرعية ليست قسوة ولا تعنيفًا، وإنما هي صيانة للنفوس من دواعي الفتنة، وحفظ للمجتمع من أسباب الانحراف، وأنه مع عظمة الفريضة وجلالة الموقف في الحج لم يغفل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن تهذيب الغرائز وضبط الأبصار، وهذا منهج نبوي خالد يعلّم الأمة أن الغيرة لا تنفك عن التربية والرحمة.

إنكاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ النخامة في القبلة

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». رواه البخاري، برقم: (٤٠٥)، ومسلم، برقم: (٥٤٧).

هذا الموقف يجسد غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على شعائر الله، فإنما غضب لأجل انتهاك حرمة الصلاة والمناجاة، وغضبه هنا تربية عملية للأمة ليعظموا شأن الصلاة ويوقروا مواضعها، وفيه أن الغيرة لا تكون بالصوت فقط، بل بالفعل والتعليم.

غيرته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ على ابنته فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا لما أراد علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن يتزوج عليها

عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا». رواه البخاري، برقم: (٥٢٣٠)، ومسلم، برقم: (٢٤٤٩).

هذا الحديث الشريف من أعظم الشواهد على غيرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ ومكانة فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عنده، فقد خطب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ على المنبر معلنًا رفضه أن تُجْمَع فاطمة مع ابنة أبي جهل تحت رجل واحد، مع أن عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كان أحب الناس إليه من الشباب، وأقربهم نسبًا وفضلًا، والسر في ذلك أن فاطمة بضعه منه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ، يؤذيه ما يؤذيها ويُسِرُّه ما يسرها، فهي أقرب الناس إلى قلبه، فغيرته هنا كانت غيرةً على ابنته وصيانةً لحرمتها ومكانتها.

وفيه بيان أن الغيرة من صفات الكمال التي تدفع إلى حفظ الأعراض، وأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ راعى مشاعر ابنته، ولم يرضَ أن يجتمع لها ما يُكدّر صفوها أو يجرّ عليها أذى نفسي.

كما فيه درس عظيم في الوفاء للأهل، وأن الزوج ينبغي أن يراعي خاطر زوجته، ولا يعرّضها لما يؤلمها وإن كان الأمر في أصله مباحًا، وهذا من تمام عدل

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ورحمته وحرصه على بيته وأمته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٢٥١):

نَهَى عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا لِعِلَّتَيْنِ مَنْصُوصَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَذَى فَاطِمَةَ. فَيَتَأَذَّى حِينَئِذٍ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فَيَهْلِكُ مَنْ آذَاهُ، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ لِكَمَالِ شَفَقَتِهِ عَلَى عَلِيٍّ وَعَلَى فَاطِمَةَ.

وَالثَّانِيَةُ: خَوْفُ الْفِتْنَةِ عَلَيْهَا بِسَبَبِ الْغَيْرَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ: تَحْرِيمُ جَمْعِهِمَا. اهـ

غضبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من وجود الصور في البيت

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ**». رواه البخاري، برقم: (٦١٠٩)، ومسلم، برقم: (٢٠١٧).

هذا الحديث من أظهر المواقف التي تبين غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على التوحيد، فإن مجرد وجود ستار فيه صور جعله يتغير وجهه غضبًا لله، وبيّن أن هذا من المضاهاة لخلق الله، ففيه دليل على أن الغيرة المحمودة هي التي تدفع إلى حماية جناب التوحيد وسد ذرائع الشرك.

فهذا الموقف يجسد غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على جناب التوحيد وصيانة البيوت من وسائل الشرك، فقد غضب عند رؤيته للصور وظهر ذلك في وجهه،

ثم لم يكتفِ بالإنكار القولي، بل بادر إلى الفعل فهتك الستر، ليكون قدوة في إزالة المنكر وعدم التساهل فيه، وفي ذلك تعليم للأمة أن الغيرة لله تشمل حماية العقيدة من كل ما يقدح في صفائها، وأن الواجب على المسلم إذا رأى منكرًا أن يغيره بقدر استطاعته، فإن الصور كانت ولا تزال ذريعة إلى الغلو وتعظيم المخلوقين، ومن هنا فإن غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم تكن مجرد عاطفة، بل انطلقت من أصل شرعي، قصد به حفظ التوحيد وحماية الأمة من أسباب الانحراف.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على حدود الأعراض بالرضاعة

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دخل عليها وعندها رجل، فكأنَّه تغيّر وجهه، كأنَّه كره ذلك، فقالت: إنه أخي، فقال: «**انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ**». رواه البخاري، برقم: (٢٦٤٧)، ومسلم، برقم: (١٤٥٥).

هذا الموقف يبرز شدة غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على حدود الله، فإنه لم يُقرّ وجود رجل أجنبي عند زوجته، بل ظهر أثر الغضب في وجهه فورًا، ليعلِّم الأمة أن باب الأعراض لا مجال فيه للتساهل، وفي تعقيبه الحكيم بيان أن الرضاعة لا تثبت إلا بما كان في زمن المجاعة، أي: حال الصغر والحاجة إلى اللبن، لا بمجرد دعوى أو عرف، ففيه غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على محارم الله، وتعليمه أن الضوابط الشرعية هي التي تصون الأعراض وتحفظ البيوت من الفتن، وأن الغيرة المحمودة تقترن دائمًا بالبيان الشرعي والتوجيه التربوي.

غيرته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ على وحدة الأمة

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ خِلاَفَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**» رواه البخاري، برقم: (٢٤١٠).

هذا الموقف يظهر غيرته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، إذ تغيَّر وجهه حين رأى بوادر اختلاف بين أصحابه في القرآن، فبادر إلى الإصلاح، وبيّن أن القراءتين كلتاهما صحيحة، وأن الواجب عدم التنازع في كلام الله.

وفيه إشارة بليغة إلى خطورة الاختلاف في الدين، وأن الغيرة لله تقتضي الحرص على وحدة الصف، وصيانة الوحي من أن يكون سبب فرقة بين المؤمنين.

فغيرته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ هنا لم تكن غضبًا على شخص بعينه، وإنما هي تربية للأمة على أن الاختلاف إذا مسّ أصل الدين صار خطرًا عظيمًا، وأن الواجب دفعه بالعلم والحكمة.

غيرته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ على حرمة أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ

عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ

إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا. رواه البخاري، برقم: (٣٦٦١).

هذا الموقف يظهر غيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على حرمة أصحابه وحقوقهم، وخاصة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي كان أول المصدقين وأعظم الأنصار.

فقد تغيّر وجهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غضبًا حين وجد أن النزاع وصل إلى حد يجرح مكانة أبي بكر، وبيّن فضل الصديق ومكانته، وأن إيذاءه إيذاء للنبي نفسه.

وفي ذلك تقرير لمعنى الوفاء والغيرة على أهل الفضل، وأن من تمام الغيرة لله أن تُصان مقامات أهل السبق في الدين، فلا يُنتقص منهم ولا يُنال من قدرهم، وهذا خلق كريم يغرس في الأمة الوفاء لأهل الفضل، والتقدير لمن نصروا الدين في بداياته.

غيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أحكام اللقطة والإبل

عن يزيد مولى المنبعث، عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: «اعْرِفْ وِكَاءَهَا، -أَوْ قَالَ:

وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا-، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ» قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ: احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ المَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا» قَالَ: فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: «لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذِّئْبِ» رواه البخاري، برقم: (٩١)، ومسلم، برقم: (١٧٢٢).

هذا الموقف يجسد غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أموال الناس، وحرصه على حفظ الحقوق، فإن اللقطة باب عظيم من أبواب الأمانة، ولذا فصل فيها القول تفصيلًا دقيقًا، أما حين سئل عن الإبل، غضب حتى احمر وجهه، لما في السؤال ما ليس للمرء به حاجة، وقد جعل الله لها ما يحفظها من السقاء والحافر حتى يلقاها صاحبها، فكانت غيرته هنا غضبة لله ولحفظ الحقوق، وتنبيهًا للأمة أن الشريعة مبناها على صيانة الأموال والأعراض، وفي غضبه أيضًا تربية على أن الغيرة ليست في العِرض فقط، بل تشمل الدين والمال وسائر الحقوق التي أمر الله بحفظها.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على التيسير في الصلاة

عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلاَةِ فِي الفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلاَنٌ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ» رواه البخاري، برقم: (٧٠٤)، ومسلم، برقم: (٤٦٦)

هذا الموقف يبرز غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على رحمة أمته والتيسير عليها، فقد بلغ غضبه أشد ما يكون لما رأى أن بعض الأئمة يطيلون الصلاة حتى صار ذلك سببًا في تنفير الناس عنها، وهذا دليل على أن الغيرة لا تكون فقط عند انتهاك الأعراض أو الأموال، بل حتى إذا شق ذلك على المسلمين وبلغ مبلغ التشديد فيها بغير ما شرع الله، وغضبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هنا تربية عملية للأمة أن الدين مبناه على اليسر والرحمة، وأن التشدد والتنفير مخالف لمقاصد الشريعة، ففيه تقرير قاعدة عظيمة: أن الغيرة لله قد تكون في باب التيسير كما تكون في باب التشديد، بحسب ما يوافق هدي الله ورسوله.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على العدل بين الصحابة

عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ**»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَالله إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]. رواه البخاري، برقم: (٤٥٨٥)، ومسلم، برقم: (٢٣٥٧).

هذا الموقف العظيم يجسد غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على عدل الشريعة وحرمة مقام النبوة، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حكمه الأول اختار الصلح واللين، فلما تجرأ الأنصاري وطعن في عدله بسبب القرابة، تلون وجهه الشريف من الغضب، وحكم بالحق الخالص للزبير بلا تخفيف، فدل ذلك أن الغيرة لله تكون في الانتصار للعدل والشرع إذا جُرح أو أُهين، وأن مقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يجوز أن يُتهم بالميل أو الهوى، كما يبين الحديث أن التساهل في الحق قد يُقابل بجفاء، فإذا ظهر الطعن كان الواجب بيان العدل البَيِّن الذي لا مدخل للهوى فيه، ومن هنا نزلت الآية الكريمة تؤكد أن الإيمان لا يكتمل إلا بالتحاكم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والرضا بحكمه دون حرج ولا اعتراض.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند الطعن في إخلاصه

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» رواه البخاري، برقم: (٣٤٠٥)، ومسلم، برقم: (١٠٦٢).

هذا الموقف يبرز غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على إخلاص العمل لله، وصيانة مقام النبوة من التهمة، فإن الخارجي المجرم لم يطعن في القسمة فحسب، بل اتهم

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ في قصده وإرادته، وهو أعظم من مجرد الاعتراض على توزيع الأموال، ولما كان هذا مساسًا برسالته وعدله، اشتد غضب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ حتى ظهر أثره على وجهه الشريف، ومع ذلك لم ينتصر لنفسه، بل ذكّر أمته بأذى موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ وصبره، ليعلّمهم أن طريق الأنبياء محفوف بالابتلاء، وأن الطعن فيهم ليس جديدًا، وإنما العاقبة لهم بالصبر والثبات.

وفيه أن الغيرة لله تكون عند انتقاص مقام النبوة أو اتهام نيات المرسلين، وأن الرد على مثل هذا واجب شرعي لحماية الدين من الشبهات.

غيرته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ على هيبة العلم وكثرة السؤال

عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ المَسْأَلَةَ، فَغَضِبَ فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «لَا تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ ...» الحديث. رواه البخاري، برقم: (٥٤٠)، ومسلم، برقم: (٢٣٥٩).

هذا الموقف يصوّر شدة غيرته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ على مقام النبوة وهيبة العلم، فإن الإلحاح في السؤال قد يفضي إلى التكلف، أو السؤال عما لا يعني، أو عما يُسوء السامع جوابه. فلما بلغ الإلحاح حدًا زائدًا غضب، وصعد المنبر مهيبًا، ليقرر أن النبوة مقام تبليغ وهداية. وغضبه هنا تربية للأمة أن يوقروا مجلس العلم، وألا يكثروا من الأسئلة بغير حاجة، وألا يرهقوا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بما يشغل عن المقاصد العظمى. وفيه أيضًا بيان أن الغيرة الشرعية قد تكون في صيانة العلم من العبث، كما تكون في صيانة العرض والمال وسائر الحقوق.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند ترك الرخص الشرعية

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: رَخَّصَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرٍ. فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**». رواه البخاري، برقم: (٦١٠١)، ومسلم، برقم: (٢٣٥٦).

هذا الحديث أصل عظيم في باب الغيرة على حدود الشريعة، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غضب حين ترك بعض الناس ما رخّص الله فيه وإلا فإن الرخصة عبادة كما أن العزيمة عبادة.

وغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هنا تربية للأمة أن يتعبدوا الله على بصيرة، وأن يجعلوا معيارهم الاتباع لا الأهواء، وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**» بيان أن العلم الحقيقي يقود إلى التوازن، وأن أشد الناس تعظيمًا لله هم أتباع السنة.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند تبليغه ووعظه لأصحابه:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»، وَيَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى**

هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: **«أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ»**. رواه مسلم، برقم: (٨٦٧).

هذا المشهد يصوّر غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الدين وحرصه على إيصال الموعظة بأقوى أسلوب، فكان إذا خطب تغيّرت ملامحه واشتد صوته حتى كأنه منذر جيش ينذر قومه بالهلاك، وذلك ليوقظ القلوب ويستنهض الهمم، واحمرار عينيه وعلو صوته ليس غضبًا شخصيًا، بل غيرة لله ودينه، وحرصًا أن لا يلهو الناس عن الحق.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على حدود الله في السرقة

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ»**، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»** رواه البخاري، برقم: (٣٤٧٥)، ومسلم، برقم: (١٦٨٨).

هذا الحديث يبين كمال غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على محارم الله، حتى في مقام عزيز عليه مثل أسامة أو فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، غيرته هنا لم تكن عاطفة شخصية بل

التزام بالحق المطلق، وفيه أن الغيرة لله تعني تقديم شرعه على عاطفة القرابة.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على عدل الشريعة

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ» رواه البخاري، برقم: (٣٤٧٥)، ومسلم، برقم: (١٦٨٨).

هذا الحديث يؤكد نفس المعنى السابق، لكنه يُظهر الغيرة على المساواة في تطبيق الشرع، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غيور على عدل الله أن يُضيّع أو يُفرّق فيه بين الناس.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على التوحيد يوم فتح مكة

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُبًا، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ كَانَ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٨١﴾ [الإسراء:٨١] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩﴾ [سبأ:٤٩]. رواه البخاري، برقم: (٤٧٢٠)، ومسلم، برقم: (١٧٨١).

هذا من أعظم مظاهر غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على التوحيد، فلم يرضَ أن يبقى في بيت الله صنم واحد، بل أزالها كلها وهو يتلو القرآن، وفيه أن الغيرة على جناب التوحيد أعظم من الغيرة على كل شيء.

فهذا الموقف التاريخي يبرز غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على نقاء التوحيد، وتطهير بيت الله من رجس الأوثان، ولم يكن غضبه هنا غضبًا بشريًا عارضًا، بل كان غيرة للحق على الباطل، وتأكيدًا أن دعوته التي بدأت بـ «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**» خرجه ابن حبان، برقم: (٦٥٢٨)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم: (٦٥٢٨) قد اكتملت باندحار الشرك واندثار رموزه، وقد اختار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يردد آية القرآن في هذا المقام العظيم، ليبين أن النصر والتمكين ثمرة للحق، وأن الباطل مهما علا شأنه فمصيره إلى الزوال، وفي هذا عبرة للأمة أن الغيرة الصادقة لله تُثمر عزة ونصرًا، وأن التوحيد هو الغاية الأولى التي من أجلها بُعث الرسل وأنزلت الكتب.

غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم حنين وثباته في القتال:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**» رواه البخاري، برقم: (٢٨٦٤)، ومسلم، برقم: (١٧٧٦).

هذا المشهد من دلائل غيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإنه ثبت وحده في أشد

المواطن، ولم يفر، بل تقدم وهو يعلن ثباته وصدقه، وفيه أن الغيرة على دين الله تجعل صاحبها لا يهاب الكثرة ولا الشدة.

باب نماذج من غيرة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ

إنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا أصدقَ الناس إيمانًا، وأكملهم اتباعًا، وأشدّهم غيرةً لله ولدينه ولعرض نبيّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فقد تخرّبوا في مدرسة النبوة، ونهلوا من هديه الشريف، فشبّوا على الغيرة الصادقة التي تضبطها الشريعة وتوجّهها البصيرة، فغيرتهم لم تكن حميةً جاهلية، ولا اندفاعًا عاطفيًا، وإنما كانت غيرةً مؤمنةً نابعةً من خشية الله، قائمةً على نصرة الحق وصيانة الحرمات.

وقد تنوّعت صور غيرتهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ فمنهم من غار على حدود الله إذا انتُهكت، ومنهم من غار على أعراض المؤمنين، ومنهم من غار على مقام النبوة أن يُنال منه أو يُعامل بغير ما يليق به، وكانت غيرةً شاملةً تحيط بالمجتمع الإسلامي صيانةً له من الفساد والانحراف.

وإنما أوردت هنا نماذج مختارة من غيرة بعض الصحابة، كعمر وعثمان وغيرهما، لا على سبيل الحصر، ولكن ليُرى من خلالها عظمة معدنهم، ونقاء سريرتهم، وصدق غيرتهم، ولو أردنا استقصاء جميع مواقفهم لطال بنا المقام، فإن حياتهم كانت مملوءة بالغيرة المحمودة التي تُعدّ من دلائل كمال إيمانهم وصدق اتباعهم لنبيّهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ. فرضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

من غيرة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عُرف أبو بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ برقة قلبه، وصفاء سريرته، وعظيم توكله على الله، ومع ذلك كانت غيرته على دين الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ غيرة صادقة لا تقل عن شدته في نصرة الحق، بل امتزجت رقة قلبه بصلابة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغيرته لم تكن اندفاعًا ولا حدّةً مجردة، وإنما كانت نابعة من قلبٍ مفعم بالإيمان، فالغيرة في شخصية أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كانت مزيجًا من صفاء القلب وحمية الدين، لا إفراط فيها ولا تفريط، فهي غيرة نابعة من صدق الإيمان وخشية الله، ولذا جاءت منضبطة مهذبة، لا تُفضي إلى ظلم أو وسوسة، وإنما تحفظ للمجتمع المسلم صفاءه وطهارته، فمن النماذج في ذلك:

غيرته على محارمه:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ، فَرَآهُمْ فَكَرِهَ ذَلِكَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: لَمْ أَرَ إِلَّا خَيْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ»**، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: **«لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ»**. رواه مسلم، برقم: (٢١٧٣).

هذا الأثر الجليل يظهر جانبًا رفيعًا من غيرة الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على محارمه، فقد

دخل على أسماء بنت عميس زوجته يومئذٍ، فوجد نفرًا من بني هاشم عندها، فكره ذلك بطبعه الغيور، وإن لم يرَ منهم إلا خيرًا، فلما ذكر ذلك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أقرّه على غيرته، وبيّن أن أسماء بريئة مما يُخشى، ثم صعد المنبر فشرع للأمة قاعدة تحفظ البيوت وتصون الأعراض، فقال: «لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ» ففي هذا تعليمٌ للأمة أن الغيرة الصادقة لا تُترك هملًا، ولا تُبنى على سوء الظن، بل تُضبط بضوابط الشرع، وتثمر أحكامًا وقائية تحفظ للمجتمع طهارته وللبيوت حرمتها، وهذا الموقف جمع بين غيرة أبي بكر، وحكم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الحكيم في تهذيب هذه الغيرة وتثبيتها في صورة تشريع دائم.

غيرته على بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من اللهو

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا» رواه البخاري، برقم: (٩٥٢)، ومسلم، برقم: (٨٩٢).

في هذا الموقف تظهر غيرة الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقد أنكر رؤية ما لا يليق ببيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الغناء، وعدّه مزمارة من مزامير الشيطان، ومع أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أقرّ لهن ذلك في يوم العيد لرفع الحرج عن الناس وإظهار

الفرح المشروع، إلا أن إنكار أبي بكر نابع من غيرته على الدين وحرمات بيت النبوة، فغيرته وافقت الحق من حيث الأصل، وإن كان للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الموطن رخصة خاصة بيّنها.

وهذا يبيّن أن غيرة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت حاضرة في صغار الأمور وكبارها، فهو لا يرضى أن يُخالط بيت النبوة شيء من اللهو، ولو كان يسيرًا.

غيرته على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى من ابنته

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْذَرَ أَبَا بَكْرٍ عَنْ عَائِشَةَ – أي: شكا إليه بعض ما صدر منها– وَلَمْ يَظُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنَالَهَا بِالَّذِي نَالَهَا فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَلَطَمَهَا وَصَكَّ فِي صَدْرِهَا فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَنَا بِمُسْتَعْذِرِكَ مِنْهَا بَعْدَهَا أَبَدًا**» أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٤١٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: (٢٩٠٠).

هذا الحديث يُظهر شدة غيرة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلم يحتمل أن يرى ابنته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تجادل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو ترفع صوتها بحضرته، فكانت غيرته منطلقة من حبّه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه له، حتى لو كان الأمر مع فلذة كبده، غير أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يرضَ أن يُمَسَّ أهله بأذى، فدلّ ذلك على أن الغيرة إذا تجاوزت حدّها صارت مذمومة، فالميزان الشرعي أن الغيرة مطلوبة لكنها لا

تتحول إلى ظلم أو اعتداء، وهذا ما علّمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ لأبي بكر ولنا جميعًا.

غيرته على حدود الله بقتال مانعي الزكاة

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**» فَقَالَ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ. رواه البخاري، برقم: (١٣٩٩)، ومسلم، برقم: (٢٠).

هذا الموقف يبين الغيرة العظيمة التي حملها الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على حدود الله ودينه؛ فلم يقبل أن يُترك ركن من أركان الإسلام أو يُنتقص حق من حقوقه، ولو كان شيئًا يسيرًا كالعناق (أنثى العنز الصغيرة)، وقد ظن عمر أول الأمر أن الأمر لا يصل إلى القتال، لكن حين رأى ثبات أبي بكر، علم أن الحق معه، فكانت غيرته سببًا في حفظ ركن الزكاة وصيانة هيبة الإسلام بعد وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ، وبها أطفأ الله فتنة عظيمة كانت ستزلزل أركان الدين.

غيرته على وحدة الأمة يوم السقيفة

عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال:لما قُبض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فبايعه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثم بايعه الناس. رواه البخاري، برقم: (٣٦٦٧).

هذا الموقف يبين غيرته على وحدة الأمة وصيانة بيضتها من التفرق، فلم يسمح أن ينشأ نزاع في الخلافة، بل بادر بالحكمة والكلمة الجامعة، فحفظ الله به الأمة من شر عظيم، فغيرته هنا لم تكن غيرة شخصية، بل كانت غيرة على وحدة الصف، وصيانة الأمة من الفتنة والانقسام.

غيرته على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من أذى المشركين

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨] الآيَةَ، رواه البخاري، برقم: (٣٨٥٦).

هذا الموقف العظيم يجسد غيرته على حماية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، إذ لم يحتمل أن يرى أذى يُصب على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهو واقف،

فانقضّ يدفع عنه ويدافع بصوت الحق، لم يبالِ ببطش قريش، بل غار لله ولرسوله غيرة ألهبها الإيمان، فصار أول من ذبّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علنًا.

غيرته على ثبات الدين يوم الحديبية

عن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة صلح الحديبية، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. رواه البخاري، برقم: (٢٧٣١).

هذا الموقف من أعظم شواهد غيرة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على دين الله، فقد وقف موقف المطمئن الواثق بنصر الله، حين اضطربت النفوس وضاقت صدور الصحابة من شروط الصلح، كانت غيرته لله نابعة من بصيرته وإيمانه، فلم يجعل العاطفة تغلب على الطاعة، بل ذكّر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالثبات على الاتباع، وقد تجلّت في جوابه معالم الغيرة الصادقة: الثقة بالوحي، والتسليم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واليقين أن وعد الله لا يتخلف، وهكذا كانت غيرة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحفظ الدين من الانفعال، وتعيد الأمة إلى جادة الطاعة، فصار في هذه اللحظة إمامًا في الثبات واليقين.

غيرته يوم الحديبية

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -في حديث صلح الحديبية - أن عروة بن مسعود الثقفي جعل يكلم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ. رواه البخاري، برقم: (٢٧٣١).

في هذا الموقف تتجلّى غيرة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعلى ثبات الصحابة معه، فلم يحتمل أن يشكك عروة في ولائهم ووفائهم لنبيهم، فانتفض بغيرة صادقة يردّ بها على الطعن، ردّه كان شديدًا؛ لأنه رأى في كلام عروة مساسًا بجناب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإظهارًا لصورة الصحابة بمظهر الجبن والفرار، فدفع ذلك بغيرته لله ورسوله، هذه الغيرة كانت دفاعًا عن العقيدة، وصيانة لمقام الصحابة، وتأكيدًا أن الوفاء للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لا يعرف ترددًا ولا خذلانًا، وفي هذا درس بليغ أن الغيرة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعلى دينه تستدعي أحيانًا الشدة والصرامة، إذا كان في المقام ما يقتضيها، فكان موقف أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نموذجًا لغيرة الصحابة التي لا تسمح بمساس مقام النبوة، ولا تشويه صورة الصف المؤمن.

من غيرة الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عُرف عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بشدته في الحق، وصرامته في الباطل، وقوة غيرته على حرمات الله، حتى صارت الغيرة سجية فيه لا تفارقه في بيته ولا في شأنه العام.

وكانت غيرته غيرةً صادقة نابعة من قلب ممتلئ بالإيمان، فهي ليست مجرد نزعة بشرية، بل كانت مزيجًا من الحزم والعدل وصيانة الدين.

ولهذا وافق الوحي رأيه في غير موضع، كآية الحجاب، وآية أسرى بدر، وآية مقام إبراهيم.

فالغيرة في شخصية عمر لم تكن انفعالًا عابرًا، بل كانت عقيدةً راسخة وملكةً ثابتة، بها صان الله الأمة من التميع والانحلال، وأقام هيبةً للدين في النفوس.

وقد شهد له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بهذه السجية، بل جعلها منقبة له، كما في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ» فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ. رواه البخاري، برقم: (٣٦٧٩)، ومسلم، برقم: (٢٣٩٤).

وفي رواية عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ

هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَبَكَى عُمَرُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟. رواه البخاري، برقم: (٧٠٢٥)، مسلم، برقم: (٢٣٩٥)، واللفظ له.

هذا الحديث من أعظم الشواهد على أن الغيرة كانت صفة ملازمة لعمر حتى في الجنة يذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهي غيرة محمودة شرعًا، قائمة على المروءة والإيمان، لا إفراط فيها ولا تفريط، ولهذا رضي الله عن الفاروق وجعل غيرته سياجًا يحفظ به الدين والأمة، فمما ورد في معنى غيرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يلي:

غيرته على محارمه:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ، قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي، قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»** رواه البخاري، برقم: (٩٠٠)، ومسلم، برقم: (٤٤٢).

هذا الأثر يبين جانبًا دقيقًا من غيرة الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أهله ومحارمه، فقد كان يغار على خروج امرأته إلى الصلاة في الفجر والعشاء مع الجماعة في المسجد، ورغم غيرته الشديدة وحرصه على صيانتها، لم يمنعها من ذلك لما علم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»**، فوقف عند حدود الشرع، مقدّمًا طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على هوى نفسه وغيرته

الطبيعية، وهنا يظهر كمال إيمانه، إذ جمع بين شدة الغيرة المحمودة وبين التسليم المطلق لحكم الله ورسوله، فلا يقدّم ميوله الشخصية على النص الشرعي، وفي ذلك درس بليغ في أن الغيرة لا بد أن تكون منضبطة بالوحي، وأنها متى جاوزت حدود الشرع صارت إلى التضييق والتعسف، أما إذا وافقت النص فهي غيرة ممدوحة تُعلي شأن الأسرة وتحفظ الدين.

غيرته في الحجاب ونزول الحجاب بموافقته:

فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر: وَافَقْتُ اللَّهَ فِي ثَلَاثٍ ... وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِالحِجَابِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الحِجَابِ. رواه البخاري، برقم: (٤٤٨٣)، واللفظ له، ومسلم، برقم: (٢٣٩٩).

هذا من أوضح الأدلة على غيرته، فقد غار أن يرى الأجانب نساء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مكشوفات، فاقترح الحجاب، فنزل الوحي موافقًا له، غيرة عمر هنا غيرة إيمانية صادقة، لم يقصد بها مجرد العاطفة، بل حماية مقام النبوة والأعراض، موافقة القرآن لرأيه شرف عظيم ودليل على صفاء غيرته، وهو يعلّم الأمة أن الغيرة على الحرمات سبب لصيانة المجتمع من الفساد.

غيرته عند اعتراضه على الصلاة على رأس المنافقين

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُصَلِّي عَلَيْهِ،

وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ» قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:٨٤]. رواه البخاري، برقم: (٤٦٧٠)، ومسلم، برقم: (٢٧٧٤).

في هذا الموقف ظهرت غيرة عمر الجلية على صفوف المسلمين، فلم يقبل أن يُكرَّم رأس المنافقين بالصلاة عليه وهو الذي آذى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأضرّ بالدعوة، غيرة عمر هنا لم تكن غضبًا عاطفيًا، بل بصيرة نافذة بالآية السابقة التي تشير إلى عدم جدوى الاستغفار لهم، حتى أنه أخذ بثياب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حرصًا على تنفيذ أمر الله، مع أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك من باب الاستعطاف والمصلحة، إلا أن الوحي نزل مؤيدًا لرأي عمر وحزم غيرته، هذا يبين أن غيرته موافقة للشرع وأن بصيرته كانت نورًا من الله، وهو درس أن الغيرة الصادقة على الدين تحفظ الأمة، وأن المؤمن يغار لله لا لحظوظ نفسه.

هنا برزت غيرته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على صفوف المؤمنين، فلم يقبل أن يُكرم رأس النفاق بالصلاة عليه، كان يعدد إساءاته ويستحضر خطره على الإسلام.

فوافقه الوحي في النهاية، دلالة على صدق غيرته وقوة بصيرته، هذا الموقف يؤكد أن غيرته لم تكن مجرد انفعال بل دفاع عن العقيدة، وفيه أن المؤمن يغار على

دينه كما يغار على عرضه.

غيرته على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى من ابنته :

عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: تَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ، وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْكِ - يُرِيدُ عَائِشَةَ. رواه والبخاري، برقم: (٨٩)، مسلم، برقم: (١٤٧٩)، واللفظ له.

هذا الموقف يجسد غيرته العظيمة على حرمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إذ لم يرضَ أن تُعامل ابنته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بما لا يليق بمقام النبوة، كان يرى أن مراجعة الزوج لزوجه أمر عادي، لكن أن يصل إلى مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهو خطر عظيم قد يجرّ سخط الله، لذلك حذّر ابنته حفصة بشدة ونصحها ألّا تراجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا تهجره، بل تلجأ إليه وحده في مطالبها.

كما حذّرها من الغيرة النسائية التي قد تدفعها إلى منافسة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مبينًا أن ذلك قد يوقعها في الهلاك، هذا الموقف يبيّن أن غيرته لم تقتصر على العرض والنساء، بل امتدت إلى صيانة مقام النبوة من أن يُمسّ بما لا يليق.

وفيه درس عظيم في توقير العلماء وأهل الفضل، وأن غيرتهم وحقوقهم مقدمة على نزوات النفوس.

غيرته على نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ، فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً، وَكَانَتِ امْرَأَةً طَوِيلَةً، فَنَادَاهَا عُمَرُ: أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ. رواه البخاري، برقم: (١٤٦)، ومسلم، برقم: (٢١٧٠).

هذا الحديث يبين شدّة غيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحرصه على صيانة بيت النبوة من أعين الأجانب، فقد كان يتمنى أن يُحجبن حمايةً لهنّ وصيانة لعرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يُراعي أحوال أزواجه قبل نزول الحكم، إلا أن إلحاح عمر وموافقته لفطرة الغيرة الصادقة وافق أمر الله، حتى أنزل آية الحجاب التي حصنت أمهات المؤمنين ومن ورائهن نساء الأمة.

وهذا يُظهر أن غيرته لم تكن مجرد نزعة شخصية، بل كانت إلهامًا من الله، يوافق الوحي في أكثر من موضع، ومنها الحجاب. كما يبين أن الغيرة على الأعراض سبب لحفظ المجتمع من التبرج والانكشاف الذي يفضي إلى الفتنة.

فغيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هنا لم تقتصر على بيته أو أهله، بل شملت أمهات المؤمنين ونساء الأمة جمعاء، فكان بحق غيورًا لله ولدينه، وهذا درس عظيم أن المؤمن الحق لا يرضى أن تُمسّ حرمة الدين أو تُعرض نساء المسلمين للفتنة، بل يغار لله فينصح ويحرص حتى يرفع الله به البلاء.

هذا الموقف يظهر مدى صدق غيرته وحرصه على صيانة الحرمات، وفيه أن الله يبارك في الغيرة الصادقة حتى تنزل الأحكام بسببها.

غيرته على نساء أهل الثغور

جاء من طرق أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يَطُوفُ، سَمِعَ امْرَأَةً، وَهِيَ تَقُولُ:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاخْضَلَّ جَانِبُهْ وَأَرَّقَنِي لا خَلِيلَ أُلاعِبُهْ

فَلَوْلا حَذَارِ اللهِ لا شَيْءَ مِثْلُهْ لَزُعْزِعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهْ

فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا لَكِ؟ قَالَتْ: أَغْرَبْتَ زَوْجِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَقَدِ اشْتَقْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَدْتِ سُوءًا؟ قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ، قَالَ: فَامْلُكِي عَلَى نَفْسِكِ فَإِنَّمَا هُوَ الْبَرِيدُ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكِ عَنْ أَمْرٍ قَدْ أَهَمَّنِي فَأَفْرِجِيهِ عَنِّي، كَمْ تَشْتَاقُ الْمَرْأَةُ إِلَى زَوْجِهَا؟ فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا فَاسْتَحَيَتْ، فَقَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَأَشَارَتْ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ وَإِلا فَأَرْبَعَةً، فَكَتَبَ عُمَرُ: أَلا

تُحْبَسَ الْجُيُوشُ فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٢٥٩٣)، وسعيد بن منصور (٢٤٦٣)، وتاريخ المدينة لابن شبة (١٢٠٤) والسبكي في طبقات الشافعية (١/ ٢٨٤) من طرق بمجموعة تصح القصة.

هذا الأثر من أعجب الشواهد على غيرة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكنها غيرة مقرونة بالحكمة، ممتزجة بالعدل والرعاية العامة.

فقد كان يطوف بالبيت، فسمع شكوى امرأة لا تملك سوى الشعر تبث فيه همّها وشوقها لزوجها الغائب في الجهاد، فأدرك عمر بفطرته السليمة أن وراء هذه الأبيات معاناة صادقة، فسألها بغيرة: «أردت سوءًا؟»؛ أي: هل حملك الشوق على التفكير في الحرام؟ فبادرت بالاستعاذة بالله، فأثنى على عفتها، وسارع يبحث لها عن حلّ.

ومن غيرته على الأعراض، وحفاظه على المجتمع من الفتن، لم يكتفِ باللوم أو التوجيه، بل بحث عن علاج تشريعي، فاستشار ابنته حفصة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لأنها أعلم بشؤون النساء، فقالت: «ثلاثة أشهر وإلا فأربعة»، فجعل عمر هذا ميزانًا عامًا، وكتب إلى أمراء الأجناد ألا يحبسوا الجنود في الثغور أكثر من أربعة أشهر.

فهذا الموقف يجمع بين غيرته على الأعراض، ورحمته بالنساء، وحرصه على الجنود حتى لا تفتنهم الغربة، ولا تُهلك نساؤهم بالشوق، وهكذا تكون الغيرة الراشدة: لا قسوة فيها ولا تساهل، بل انضباط شرعي يوازن بين مصلحة الدين

والدنيا، ويحفظ الأسرة والمجتمع من الانحراف.

غيرته على القرآن وشدته على أهل الأهواء

عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَجُلا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عَسَلٍ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرْجِينَ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي. رواه الآجري في الشريعة (١٥٣)، وابن بطة في الإبانة (٧٨٩)، وغيرهم من طرق صحيحة بمجموعها(١).

هذا الأثر من أعجب ما يُذكر في غيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على دين الله وصيانة القرآن الكريم من العبث والفتنة، صبيغ بن عسل التميمي جاء إلى المدينة ومعه كتب يسأل عن متشابه القرآن بأسلوب يُشتمّ منه قصد الفتنة وإثارة الشبهات بين الناس، ولم يكن سؤال طالب علم يريد الفهم، فبلغ خبره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان

---

(١) وللشيخ الفاضل وهب الذيفاني رَحِمَهُ اللَّهُ ورفع درجته بحث قيم في جمع طرق هذا الأثر وما اشتمل عليه من فوائد ضمن كتاب أسماه "إعلام أهل الورع بموقف السلف من توبة أهل البدع" وهو كتاب جميل أنصح باقتنائه ومطالعته.

أمير المؤمنين، فاستدعاه وأعد له درة عمر العراجين (جريد النخل)، وضربه حتى سال الدم من رأسه، ليزجره ويردعه، لم يكن ذلك عن قسوة، وإنما عن غيرة إيمانية على كتاب الله من أن يُتخذ مادة للطعن أو اللعب بالعقول. فالمتشابهات ميدان قد ينفذ منه أهل الزيغ، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

فلما عالج عمر الأمر بحزمٍ ذهبت الوساوس من رأس الرجل وقال: «قد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي».

نستفيد من هذه القصة:

- أن غيرة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم تكن على العرض فقط، بل على الدين والعقيدة.
- أن الحزم أحيانًا هو العلاج النافع إذا ظهرت بوادر الفتنة.
- أن من تمام الغيرة لله أن يُسدّ باب الشبهات قبل أن تنتشر وتُفسد عقول الناس.

فهذا الموقف يسجَّل لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه حارس العقيدة، يغار أن يُتلاعب بكلام الله أو أن يُسأل عنه على وجه التعنت والجدل العقيم، ولذلك كان في شدته رحمة للأمة.

غيرته في حماية الدين والملة

عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَذَكَرَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكًا نَقَرَنِي ثَلَاثَ نَقَرَاتٍ،

وَإِنِّي لَا أُرَاهُ إِلَّا حُضُورَ أَجَلِي، وَإِنَّ أَقْوَامًا يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضَيِّعَ دِينَهُ، وَلَا خِلَافَتَهُ، وَلَا الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ عَجِلَ بِي أَمْرٌ، فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَامًا يَطْعَنُونَ فِي هَذَا الأَمْرِ، أَنَا ضَرَبْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللهِ الْكَفَرَةُ، الضُّلَّالُ، ثُمَّ إِنِّي لَا أَدَعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ، مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ، حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ؟ وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ، أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَى أُمَرَاءِ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَعْدِلُوا عَلَيْهِمْ، وَلِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَيَقْسِمُوا فِيهِمْ، فَيْئَهُمْ وَيَرْفَعُوا إِلَيَّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ، لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ هَذَا، الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا. رواه مسلم، برقم: (٥٦٧).

وفيه أنواع من معاني الغيرة:

أولًا: غيرته على أمر الخلافة:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«إن أقوامًا يأمرونني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه**

ولا خلافته»، هنا تظهر غيرته على حماية الدين والخلافة من الفتن بعد موته، فأكد أن الأمر شورى في الستة الذين توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راضٍ، ثم شدد على أن من يطعن في هذا الأمر فقد خرج عن دائرة الإسلام، وسمّاهم: «**أعداء الله الكفرة الضلال**»، هذه الغيرة على وحدة الأمة، وصيانة بيعة المسلمين، هي غيرة إيمانية تحفظ الدين من التمزق.

ثانيًا: غيرته في مسألة الكلالة:

بيّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أكثر ما راجع فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مسألة الكلالة، حتى قال: «**ما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف**»، هنا تظهر غيرته في طلب العلم والحرص على بيان الحكم، حتى كرر السؤال مرارًا، وهذا من غيرته على بيان شرع الله للناس حتى لا يضلوا.

ثالثًا: غيرته على وُلاة الأمصار:

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم ليعدلوا عليهم، وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، ويقسموا فيئهم**»، هذه شهادة عظيمة تبرز غيرته على تطبيق العدل في الأمصار، وعلى أن يكون الولاة قدوة في تعليم السنة لا في جمع المال ولا في الاستبداد.

رابعًا: غيرته على بيوت الله من الروائح الكريهة:

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: البصل

والثوم، لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فهذا موقف عملي يدل على غيرته على طهارة المساجد وتعظيمها، إذ لا يليق أن تُدنّس بريح كريه يؤذي المصلين والملائكة.

وفي هذا الأثر اجتمعت غيرته على العقيدة (في أمر الخلافة)، وعلى العلم (في مسألة الكلالة)، وعلى الحكم (بخصوص أمراء الأمصار)، وعلى العبادات والشعائر (في تعظيم المساجد)، فهو غيور لله، يغار على الحرمات والشرع، لا يغار لنفسه، بل يغار لله ولدينه ولدعوة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

غيرته الممزوجة بخشية الله والوقوف عند كتابه:

عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ، وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى، قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ. رواه البخاري، برقم: (٤٦٤٢).

ففيه أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، مع شدة غيرته وحدته في ذات الله، كاد أن يوقع بعُيينة لما طعن فيه واتهمه بالظلم، لكن ما إن ذكّره الحر بن قيس بآية من كتاب الله ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، حتى وقف عمر عندها، وكفَّ غضبه، إذ كان وقّافًا عند حدود القرآن.

وهذا من أعظم دلائل كمال غيرته، فهي غيره منضبطة بالوحي، لا تخرجه إلى بطشٍ أو تجاوز، بل ترجع به إلى التسليم لحكم الله، فجمع بين القوة في الحق والخضوع لشرع الله.

غيرته على رسول الله ن عند موته

فعَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ ... الحديث في قصة وفاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ قال: فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ قَالَ عُمَرُ: لا يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ بِمَوْتِهِ إِلا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَذَا، فَسَكَتُوا، وَكَانُوا قَوْمًا أُمِّيِّينَ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ نَبِيٌّ قَبْلَهُ، قَالُوا: يَا سَالِمُ، اذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ فَادْعُهُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ قُلْتُ: إِنَّ عُمَرَ، يَقُولُ: لا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ بِمَوْتِهِ إِلا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَذَا، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى سَاعِدَيْ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى دَخَلَ، قَالَ: فَوَسَّعُوا لَهُ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَمَسَّ وَجْهُهُ وَجْهَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَبَانَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر:٣٠]، قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ أَمَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَمَا قَالَ... الحديث، رواه بهذا اللفظ النسائي في الكبرى (٧٠٨١)، وأصله في البخاري، برقم: (٣٦٧٠).

فغيرة عمر هنا كانت غيرة محبٍّ صادقٍ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لم يحتمل أن يصدّق خبر موته، فأنكر ذلك وجعل يهدد الناس بالسيف إن تكلموا به، وهذا من شدّة تعظيمه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومحبته له، حتى غلبت عاطفته وغيرته على قلبه فلم يُطق سماع الفاجعة.

لكن هذه الغيرة – مع صدقها – كانت في غير موضعها، فبيّن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأمة أن الحق فوق العاطفة، فقرأ عليهم آية الموت، فرجعوا إلى الحق.

غيرته وإنكاره المنكر في اللحظات الأخيرة

عن عمرو بن ميمون قال: لما طُعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه قال: وَجَاءَ النَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللهَّ لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدَمٍ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلَامَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ وَأَتْقَى لِرَبِّكَ. رواه البخاري، برقم: (٣٧٠٠).

هذا الموقف يكشف عن غيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على حدود الله حتى في لحظاته الأخيرة وهو ينزف مطعونًا، لم يشغله ألمه ولا اقتراب أجله عن أن ينكر المنكر وينصح للناس، أمر الغلام برفع إزاره، لأن الإسبال من مظاهر الكبر، وهو منهي

عنه شرعًا، وقد جمع في نصيحته بين الحرص الدنيوي «أبقى لثوبك»، والحرص الأخروي «وأتقى لربك»، فكان كلامه جامعًا بين النصيحة والإرشاد والغيرة.
هذا المشهد يجسد إخلاصه وصدق غيرته، إذ لم يمنعه شدة وجعه من أن يعلّم الأمة، فكانت كلماته وصية خالدة للناس من بعده.

من غيرة عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

كان ذو النورين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مثالًا رفيعًا في العفّة والحياء، حتى قال فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» رواه مسلم، برقم: (٢٤٠١) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ فإذا كان الحياء أصل خلقه، فالغيرة لازم من لوازمه، إذ لا ينفك الحيي عن الغيور.

وقد عُرف عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بشدة محافظته على حرمات الله، وصيانته لمحارمه، وحرصه على أن تبقى البيوت مصونة والأعراض محفوظة، فغيرته لم تكن مجرد انفعال عاطفي، بل كانت عبادة لله، وحراسة لحدوده، وصيانة لأهل بيته، حتى أثنى عليه الصحابة بذلك.

وإنما أوردنا في هذا الموضع نماذج من غيرة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إذ لو أردنا استقصاء سيرته في هذا الباب لطال بنا الكلام، فهو من أغير الناس بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام، ويكفيه شهادة نبيٍّ صادق أمين بأنه من أعفّ الناس قلبًا وأشدهم غيرةً على دين الله ومحارمه فمما جاء في ذلك ما يلي:

غيرته على حدود الله

عن المِسْوَرَ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الْوَلِيدِ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، قَالَ: مَعْمَرٌ أُرَاهُ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهَّ مِنْكَ فَانْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ، فَقُلْتُ: إِنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ للهَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَهَاجَرْتَ الْهِجْرَتَيْنِ وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: لَا وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنْ اسْتَجَابَ للهَّ وَلِرَسُولِهِ وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الْهِجْرَتَيْنِ كَمَا، قُلْتَ: وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَايَعْتُهُ فَوَاللهَّ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُّ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللهُّ ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ. رواه البخاري، برقم: (٣٦٩٦).

هذا الأثر من أوضح الشواهد على غيرة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على حدود الله ودينه، فإن قضية أخيه الوليد كانت مما أكثر الناس الكلام فيه بسبب شربه للخمر، وكان

عثمان في مقام الخليفة والحاكم، وكان من الممكن أن يحمله حب القرابة أو حياء الناس على التهاون، لكنه أبى إلا أن يقيم الحق كما هو.

فقد أظهر في كلامه اعتزازًا بسابقته في الإسلام والهجرتين وصحبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم بيّن أنه ما غش ولا خالف حتى توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا في عهد أبي بكر ولا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهو ليس دونهم في الحق ولا في التزام الشرع، ثم لما ذُكِر له شأن الوليد، قال: فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالْحَقِّ، أي: لن أترك أمر الله، ولا حكمه، ولو كان المتهم أخي.

فكان من غيرة عثمان أن أقام الحد بيد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجلده ثمانين جلدة كما هو حد شرب الخمر، ولم يزده شرف القرابة شيئًا، ولم يمنعه الحياء أن يعلن الحق ويطبّقه.

وهذا يبين أن الغيرة الشرعية ليست مجرد غيرة على العرض والنساء، بل هي غيرة على حدود الله أن تُضيَّع، وعلى شرعه أن يُهمل، وفي هذا الموقف درس عظيم: أن القريب والبعيد سواء أمام أحكام الله، وأن الخليفة الصادق هو الذي يغار على دين الله أكثر من غيرته على قرابته وعشيرته.

غيرته على دين الله:

عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اثْبُتْ حِرَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ**

شَهِيدٌ»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: «مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً» وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ فَجَهَّزْتُ ذَلِكَ الْجَيْشَ، قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بِئْرَ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا بِثَمَنٍ فَابْتَعْتُهَا، فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ، وَالْفَقِيرِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، وَأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا. رواه الترمذي، برقم: (٣٦٩٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم: (٣٦٩٩).

هذا الأثر المؤثر يرسم صورة ناصعة من غيرة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على دين الله وعلى تاريخه المشرق، فقد كان محاصرًا في داره، والسهام قد وُجِّهت إليه ظلمًا وعدوانًا من الخوارج البغاة(١)، ومع ذلك لم يدافع عن نفسه بحد السيف، وإنما ذكَّرهم بالله وبمواقفه التي شهدوا لها بأعينهم، فذكَّرهم بثباته مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم اهتز جبل حراء، وبسابقته في تجهيز جيش العسرة حين أعسر الناس وضاق حالهم، وبشرائه بئر رومة وجعلها سبيلًا لله للمسلمين، غنيهم وفقيرهم وابن سبيلهم، وهذه كلها دلائل غيرة صادقة على دين الله، إذ لم يكن إنفاقه وبذله طلبًا لمدح أو دنيا، بل ليحفظ بيضة الإسلام، ويكفي المؤمنين مؤنة الحرج، وموقفه هذا يوم الحصار غاية في الصبر والصدق؛ فهو يُذكّر خصومه بغيرةٍ عظيمة شهد لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والأمة من بعده، لعلها تردعهم

---

(١) وليس فيهم أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

عن ظلمه، لكنهم غلبهم الهوى، فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيد الغيرة على الدين والغيرة على حدود الله.

من غيرة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشدّ الصحابة غيرةً على دين الله ومحارمه، ومن أغيرهم على أهله وأمته، كيف لا وهو الذي تربى في حجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشرُف بمصاهرته، وورث من هديه أكمل المعاني في الغيرة المشروعة، فقد جمع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين شدّة الغيرة على حدود الله، فلا يرضى أن تُنتهك ولا أن تُستباح، وبين الغيرة على الأعراض والنساء، وهو الذي عُرف بالنجدة والشجاعة والإقدام، فلا يقبل الدنية في دينه ولا في أهله، وقد تجلّت غيرته في مواقف عدة؛ كما ظهرت غيرته في شدته على الخوارج، إذ رأى فيهم خطرًا على الدين، فغار على وحدة الأمة وصيانة شريعتها حتى قاتلهم وأباد شوكتهم، وهكذا كانت غيرة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غيرةً صادقة لله، وحميةً لدينه، وصيانةً لأهله وأمته، تجتمع فيها الشجاعة والحلم، والعدل والطاعة، فهو مثال يُحتذى في الغيرة المحمودة.

فمن معاني غيرته ما جاء عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، -أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ- غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ. رواه البخاري، برقم: (٣٧٠٢)، ومسلم، برقم: (٢٤٠٧).

هذا الأثر الجليل عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم خيبر يفتح لنا بابًا لفهم غيرته في جانبها العملي؛ فهو لم يرضَ أن يُعفى من ميدان الجهاد مع ما به من رَمَدٍ في عينيه، بل غار على مقامه مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يُتخلَّف عنه في ساعة الفتح، فلما نال شرف الراية كان ذلك تصديقًا لغيرته الصادقة على دين الله، إذ لم تمنعه العلّة ولا التعب أن يكون في الصفوف الأولى. ومن غيرته أيضًا أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قرن حُبَّه لله ورسوله بمحبة الله ورسوله له، وجعل فتح خيبر على يديه، وذلك غاية التشريف، فغيرة علي هنا لم تكن انفعالًا عابرًا، وإنما عزيمة قلبية على ألا يتأخر عن موطن ينصر فيه الدين، وهذا قمة الغيرة لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث في ذكر الحديبية قال: ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ.

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ، فَقَتَلَهُ ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ. رواه مسلم، برقم: (١٨١٠).

هذا الموقف العظيم من مواقف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُظهر غيرته البالغة على دين الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلم يمنعه الرَّمَد في عينيه من النهوض إلى القتال حين دعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بل جاء يقوده الصحابي حتى بلغ رسول الله، فمسح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على عينيه فبرأتا بإذن الله، ثم دفع إليه الراية، وهنا تجلت الغيرة الصادقة؛ إذ خرج لمواجهة مرحب فارس خيبر المعروف بشجاعته وبطشه، فصدع عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشعرٍ يفيض عزةً وغيرةً وإقدامًا، معرّفًا نفسه بـ"حيدرة" أسد الغابات، ثم بارزه فقتله، فكان الفتح على يديه، ففي هذا الأثر نرى غيرة عليٍّ على دين الله تظهر في صورة شجاعة وبطولة، حيث لا يقبل أن تُرفع راية الكفر ولا أن يُغلب المسلمون، بل يغامر بنفسه صيانةً للدين ونصرةً لرسول رب العالمين.

عن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا**»، قَالَ عُمَرُ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ

اللهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ خَاصِفُ النَّعْلِ»، قَالَ: وَكَانَ أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهُ. رواه ابن حبان، برقم: (٦٩٣٧)، وصححه الإمام الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦٨٩٨).

هذا الحديث الجليل يكشف عن غيره عظيمة خصّ الله بها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهي غيرة على تأويل القرآن وصيانته من تحريف المبطلين وزيغ المنحرفين، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقاتل على تنزيله وصيانته من أعداء الله المكذبين، وقد وقع ذلك حين قاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج والناكثين والقاسطين، فلم يكن قتالًا لدنيا أو سلطان، وإنما دفاعًا عن حقائق القرآن ومعانيه، وإقامةً للعدل الذي أنزله الله، وقد شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهذا الشرف العظيم، وهو يومها يخصف نعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بساطة وتواضع، ليعلم المسلمون أن الغيرة الحقة على الدين لا تكون بالمظاهر ولا بالمناصب، بل بالصدق والوفاء وحمل أمانة هذا الكتاب العظيم، وهكذا اجتمعت في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الغيرة والشجاعة والعلم، فكان سيفًا لله في نصرة كتابه.

وعَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ» رواه مسلم، برقم: (٧٨).

هذا الحديث الجليل من أعلام فضل عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه تتجلى غيرته على دين الله وتمسكه بوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فقد أقسم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مؤكّدًا بربه الذي خلق الخلق أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عهد إليه أن حبه علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق، وهذه منزلة رفيعة لا تكون إلا لمن بلغ الغاية في نصرة الدين والغيرة على محارم الله، فمحبة عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليست لشخصه فحسب، بل لأنه رمز للغيرة الصادقة على التوحيد والشرع، وشجاعته وإخلاصه وصدقه جعلت مودته قرينة الإيمان، ومن أبغضه فإنما أبغض ما يحمله من حقٍّ ونور، فكان بغضه نفاقًا، ففي هذا الأثر يظهر كيف اجتمعت في عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الغيرة على الدين والمحبة الصادقة للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتى جعل الله محبته معيارًا فارقًا بين المؤمن والمنافق.

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: خَلَّفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**». رواه البخاري، برقم: (٣٧٠٦)، ومسلم، برقم: (٢٤٠٤).

هذا الحديث الشريف يبين مكانة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ويظهر جانبًا من غيرته وحرصه على أن يكون في صفوف المجاهدين لا في مؤخرة الجيش، فقد شق عليه أن يُخلف في المدينة بين النساء والصبيان، فغار على نفسه أن يُحسب مقصرًا في نصرة الدين أو متأخرًا عن الجهاد، فكان الجواب من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تثبيتًا لمكانته وبيانًا لشرف قربه، فقال له: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**»، وهذه منزلة لا يوازيها

شرف إلا أن النبوة قد ختمت بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ففي هذا الموقف تظهر غيرته على دين الله وحرصه على ميادين العزة، ويظهر أيضًا فضل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في طمأنته ورفع قدره، فجمع بين الغيرة الصادقة والولاية الصادقة.

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ عَلِيٍّ الْيَمَنَ فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ فَقَالَ: «يَا بُرَيْدَةُ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ». رواه أحمد، برقم: (٢٢٩٤٥)، وهو في السلسلة الصحيحة (١٧٥٠).

وهذا الحديث شاهد على غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على حق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُعرف فضله، فلا يُظلم ولا يُجحد حقه، كما أنه شاهد على غيرة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على دين الله ورسوله، إذ لم يفارق هذا المنهج، بل عاش ومات عليه، ثابتًا صادقًا، فمحبة علي من محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعداوته من عداوة الحق، ولا يحمل بغضه إلا قلب منافق.

من غيرة سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي» رواه البخاري، برقم: (٧٤١٦)،

ومسلم، برقم: (١٤٩٩).

غيرة سعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مثال جليّ للغيرة الفطرية التي يقرّها الشرع ويثني عليها، فقد عبّر عن شدتها عنده بقوله: «لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح» أي: غير عاطف للسيف، بل ضارب بحدّه. فلما بلغ ذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم ينكر غيرته، بل أقرّها ورفعها إلى المقام الأعلى فقال: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِّ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُّ أَغْيَرُ مِنِّي**» فدلّ الحديث على أن الغيرة على الأعراض من دلائل الإيمان وصيانة الدين، وأنها ليست خلقًا مذمومًا كما يراه أهل الانحلال، بل هي غيرة شرعية تضبطها حدود الله، تحفظ بها الأنساب وتصان بها البيوت، وتسدّ بها أبواب الفساد، وفي تقديم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نفسه ثم إرجاع الأمر إلى الله غاية البيان أن الغيرة صفة كمال، وأن الله أغير من كل غيور، فلذلك حرّم الفواحش كلها، وأقام الحدود حمايةً للأعراض والدين.

من غيرة أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهَّ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠]، إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ

الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ.

رواه البخاري، برقم: (١١٨)، ومسلم، برقم: (٢٤٩٣).

هذا الأثر يبين غيرة أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يُكتم أو يُضيَّع، فقد كان الناس يعيبون عليه كثرة الرواية، فاحتجَّ بالقرآن وأقسم أن دافعه ليس حب الكلام ولا الرياء، وإنما الخوف من وعيد الله لمن كتم العلم، فصرَّح أنه لم يمنعه عن ملازمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شيء من تجارة أو عمل كما شغل المهاجرين والأنصار، بل اكتفى بلقمة تسد جوعه ليبقى قريبًا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في كل حين يسمع ما لا يسمعون ويحفظ ما لا يحفظون، فكانت غيرته على ميراث النبوة هي السبب في أن صار حافظ الأمة، وبه حفظ الله للأمة بابًا واسعًا من السنن والأحاديث.

من غيرة الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ، فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَدَعَانِي،

ثُمَّ قَالَ: «إِخْ إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ، فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ، فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ يَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي. رواه البخاري، برقم: (٥٢٢٤)، واللفظ له، ومسلم، برقم: (٢١٨٢).

هذا الأثر النفيس عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يبرز ملامح واضحة من غيرة الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حتى عُرف بين الصحابة بأنه من أغير الناس. فقد في هذا الحديث أن أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لقيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو في جماعة من الأنصار، فأراد أن يخفف عنها مشقة حمل النوى على رأسها فعرض أن يركبها خلفه، لكنها استحيت وامتنعت، لأنها استحضرت غيرة زوجها الزبير، وخشيت أن يضيق صدره لو رآها راكبة خلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه.

فلما أخبرته بالقصة لم يغضب منها، بل قال كلمة عظيمة: «والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه»، أي: أن تعبه وحرصه على راحتها كان أعظم عنده من غيرته، ومع ذلك تبقى الغيرة عنده راسخة لا تفارقه، وهذا يدل على اتزان الغيرة عند الصحابة، فهي لم تكن غيرةً عمياء تُوقع في الحرج، بل غيرة إيمانية يقابلها رأفة ورحمة وحرص على الزوجة.

كما يُستفاد من الأثر أن الغيرة عند الصحابة كانت معروفة حتى أن النساء يأخذنها بعين الاعتبار في تصرفاتهن، كما فعلت أسماء حين منعتها غيرته من الركوب.

وفيه أيضًا أثر التعاون بين الصحابة، إذ أرسل أبو بكر خادمًا إلى ابنته ليكفيها مؤنة العمل الشاق، فكان ذلك بمثابة العتق لها من تلك المشقة.

إنها صورة بديعة تجمع بين الغيرة والرحمة والوفاء، وتُظهر كيف كانت الغيرة عند الصحابة في ميزان الشرع، لا إفراط فيها ولا تفريط.

من غيرة معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى أَبِي مُوسَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بِالْيَمَنِ، فَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ، قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَهَوَّدَ، وَنَحْنُ نُرِيدُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، مُنْذُ قَالَ: أَحْسَبُهُ شَهْرَيْنِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، فَقَالَ: قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَنَّ «مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فَاقْتُلُوهُ»، أَوْ قَالَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» رواه أحمد، برقم: (٢٢٠١٥)، وصححه الإمام الألباني في إرواء الغليل، برقم: (٢٤٧٢).

هذا الحديث الجليل يُظهر شدّة غيرة معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على دين الله وثباته على أحكام الشرع، فلم يرضَ أن يُرى رجل يترك الإسلام بعد أن دخله ويعود إلى اليهودية، فكان موقفه صريحًا حازمًا، فأمر بقتله مستندًا إلى قضاء الله ورسوله: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وهذه الغيرة نابعة من غيرته على حفظ بيضة الدين

وصيانة جماعة المسلمين من الفتنة، إذ كانت الردة في تلك العصور تعني خيانةً للجماعة وموالاةً للأعداء، ومن هنا فإن غيرته كانت في محلها، مقرونةً بالعلم بالنص الشرعي والحرص على طاعة الله ورسوله، فكانت شاهدًا على إخلاصه وصدقه في الغيرة على محارم الله وثبات الدين.

من غيرة أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. وَقَالَ إِنَّ أُخْتَهُ وَهِيَ تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا فَرَضُوا بِالْأَرْشِ وَتَرَكُوا الْقِصَاصَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» رواه

البخاري، برقم: (٢٨٠٥)، ومسلم، برقم: (١٦٧٥).

هذا الأثر العظيم يرسم لنا صورة صادقة من غيرة أنس بن النضر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على دين الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فقد غاب عن بدر فحزن لذلك حزنًا شديدًا، وأقسم بين يدي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنه إن أدرك قتالًا آخر ليريَنّ الله صدق عزيمته وغيرته على دينه، فلما كان يوم أُحد واشتد البلاء على المسلمين وانكشف بعضهم، صدق وعده لله، فاعتذر من فعل أصحابه الذين فرّوا، وتبرأ من فعل المشركين، ثم مضى قُدُمًا لا يلتفت، واليقين يملأ قلبه، حتى قال كلمته المشهورة: «الجنّة وربّ النضر إني أجد ريحها من دون أُحد». ثم قاتل حتى وُجد فيه بضع وثمانون ضربة وطعنة ورمية، ومُثّل بجسده الشريف، ولم يُعرف إلا ببنانه. فكان مثال الغيرة الصادقة التي امتزجت بالصدق والوفاء حتى ختمت بالشهادة، ثم جاءت شهادته الأخرى في قصة أخته الربيع حين أقسم أن لا تُكسر ثنيتها، فأبرّ الله قسمه، فصار دليلًا على مكانته وصدق غيرته، ونزل فيه وأمثاله قول الله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وهكذا كانت غيرته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ غيرةً محمودة لله، ختمها بدمه الطاهر في سبيله.

من غيرة ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ

وعن المطعم بن المقدام الصنعاني قَالَ: كَتَبَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى عَبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ طَلَبْتَ الْخِلافَةَ، وَإِنَّ الْخِلافَةَ لا تَصْلُحُ لِعَيِيٍّ، وَلا بَخِيلٍ، وَلا غَيُورٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْخِلافَةِ أَنِّي طَلَبْتُهَا فَمَا طَلَبْتُهَا، وَمَا

هِوَ مِنْ بَالِي، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْعِيِّ، وَالْبُخْلِ، وَالْغَيْرَةِ، فَإِنَّ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِعَيِيٍّ، وَمَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَلَيْسَ بِبَخِيلٍ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْغَيْرَةِ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَا غِرْتُ فِيهِ وَلَدِي أَنْ يُشْرِكَنِي فِيهِ غَيْرِي. رواه الطبراني في الكبير، برقم: (١٣٠٤٨)، وإسناده حسن.

هذا الأثر النفيس بين عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحجاج بن يوسف يبيّن كيف كان الصحابة يفهمون معاني الغيرة في موضعها الصحيح، فقد عيَّر الحجاجُ ابنَ عمر بالعيّ والبخل والغيرة، زاعمًا أنها عيوب لا تصلح للخلافة، فأجابه ابن عمر بجواب حكيم قوي، مبينًا أن هذه التهم باطلة، فبيّن أن حافظ كتاب الله لا يُعاب بالعيّ، وأن مؤدي زكاة ماله لا يُوصم بالبخل، وأما الغيرة فإنها خُلُق محمود، بل من أشرف الأخلاق، فقال: «فإن أحقّ ما غرت فيه ولدي أن يُشركني فيه غيري» أي: أن الغيرة على الأهل والأعراض حقّ مشروع بل واجب، فلا يرضى المؤمن أن يشاركه غيره فيما جعله الله له خاصًا، فكيف يُذمّ على ذلك؟! وفي هذا ردّ على أهل الانحراف الذين يجعلون الغيرة عيبًا، وفيه تأكيد أن الغيرة الشرعية صيانة للدين والأعراض، وهي علامة إيمان ونجدة، لا نقص ولا عجز.

من غيرة حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ**»، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: «**اهْجُهُمْ**» فَهَجَاهُمْ، فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ،

ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي»، فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»، وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ الله فِينَا وَرُوحُ الْقُدُس لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

رواه مسلم، برقم: (٢٤٩٠).

هذا الحديث الجليل يصوِّر غيرة حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وذبَّه عنه بالكلمة كما يذُبُّ المقاتل بسيفه، فقد أراد المشركون أن ينالوا من مقام النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالهجاء، فاستنهض رسول الله شعراء المسلمين، فكان حسان شديد الغيرة في هذا الموطن على النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وشبّه نفسه بالأسد الضارب بذَنَبه، وأقسم أن يمزق أعراض قريش بلسانه كما يُمزق الأديم، لكنه التزم بوصية النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في مراعاة أنسابه الكريمة، حتى لا يخلط بين الحق والباطل، ثم صدع بالحق وهجا المشركين هجاءً صادقًا قويًا، جعل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يشهد له بالتأييد من روح القدس ما دام يناضل عن الله ورسوله، وهنا تظهر غيرته العظيمة، إذ اعتبر عرض رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أغلى من عرضه وعرض أبيه وأهله، فقال:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

لقد جعل لسانه درعًا يحمي مقام النبوة، فشرفه الله بالتأييد، وجعل هجاءه شفاءً ودواءً على قلوب المؤمنين، وانتقامًا من أعداء الدين، إنها غيرة صادقة تُبين أن الدفاع عن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يكون بالقلم واللسان كما يكون بالسيف والسنان.

من غيرة ابن عم أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عَنْ أَبِي السَّائِبِ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ، سَمِعْتُ تَحْتَ سَرِيرِهِ تَحْرِيكَ شَيْءٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ، فَقُمْتُ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَيَّةٌ هَاهُنَا، قَالَ: فَتُرِيدُ مَاذَا؟ قُلْتُ: أَقْتُلُهَا، فَأَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي دَارِهِ تِلْقَاءَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمٍّ لِي كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ اسْتَأْذَنَ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ بِسِلَاحِهِ، فَأَتَى دَارَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَائِمَةً عَلَى باب الْبَيْتِ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ، فَقَالَتْ: لَا تَعْجَلْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَإِذَا حَيَّةٌ مُنْكَرَةٌ، فَطَعَنَهَا بِالرُّمْحِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا فِي الرُّمْحِ تَرْتَكِضُ، قَالَ: فَلَا أَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الرَّجُلُ أَوِ الْحَيَّةُ، فَأَتَى قَوْمُهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّ صَاحِبَنَا، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا بِالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَحَذِّرُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدُ أَنْ تَقْتُلُوهُ فَاقْتُلُوهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ**» رواه أبو داود، برقم: (٥٢٥٧)، ومتنه أصله في مسلم، برقم: (٢٢٣٨).

هذا الأثر الجليل يبين شدة غيرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على أعراضهم، وحرصهم على صيانة بيوتهم وأهليهم حتى في أشد أوقات الخطر، فهذا الصحابي حديث عهد بعرس، فلما استأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يذهب إلى أهله يوم الأحزاب لم يتركه يذهب إلا وهو مسلح، ليكون حاضرًا في الذب عن عرضه، فلما وجد امرأته واقفة على الباب، غلبته الغيرة فأشار إليها بالرمح، كأنه يقول: لمَ

الخروج من البيت؟! وهذه غيرة طبيعية فطرية، لكنها عند الصحابة مقيدة بأدب الشرع، فلما أخبرته أن يتأنى دخل، فإذا بها قد خرجت خوفًا من الحية، فدخل وبادر فطعنها برمحه، فكان في ذلك مصرعه.

وهذا الموقف يبرز أمرين:

الأول: شدة الغيرة على الحرمات، واليقظة على الأهل والبيت حتى في أدق الظروف.

والثاني: أن الغيرة عندهم لا تعني الاندفاع الأعمى، بل هي مقيّدة بتوجيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتعليمه، إذ بيّن لهم بعد ذلك أن الجن قد يسكنون بيوت الناس، وأمرهم بالتحذير ثلاثًا قبل القتل، وهكذا تظل غيرة الصحابة مزيجًا من الفطرة السليمة والانقياد للشرع، مما يجعلها غيرةً محمودة، تحفظ العرض وتبقي على العدل والرحمة.

من غيرة الرجل الأعمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا، فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ النَّاسَ، فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**» فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ

يَتَزَلْزَلُ، حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**» رواه أبو داود، برقم: (٤٣٦١)، وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

هذا الحديث العجيب يُظهِر قمة الغيرة الإيمانية عند ذلك الصحابي الأعمى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد كان معذور البصر، لكنه كان بصير القلب، عظيم المحبة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، شديد الغيرة على جنابه الشريف، فقد ابتُلي بأمَةٍ تقع في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتسبه رغم نهيه وزجره المتكرر، فلم يجد بُدًّا حين تمادت في ليلتها تلك إلا أن انتصر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غيرةً لله ولرسوله، فضربها حتى قتلها. فلما جيء بالقضية إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يُنكر عليه فعله، بل أقره وأعلن على رؤوس الأشهاد: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**»، تقريرًا بأن الغيرة على مقام النبوة حق شرعي، وأن الدفاع عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مقدم على كل عاطفة أخرى، حتى لو كانت زوجة وأم ولد وأم أبناء.

وهذا الموقف يبيِّن أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قدّموا محبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحرمة مقامه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وأن الغيرة لله

ولرسوله كانت عندهم دينًا وعقيدة، لا مجرد عاطفة، إنه مثال خالد على أن الغيرة الحقة هي الغيرة التي تحفظ للدين هيبته وللرسالة مكانتها.

غيرة عمير بن الحمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟»، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم، برقم: (١٩٠١)

هذا المشهد من بدر يرسم ملامح غيرة عمير بن الحمام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على دين الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد امتلأ قلبه يقينًا وتصديقًا حتى كأن الجنة ماثلة أمامه، لما سمع قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، اشتعلت غيرته وحرصه على المبادرة لنيل هذا الشرف العظيم، فقال مندهشًا مستبشرًا: بخٍ بخٍ، ثم صرّح أن لا باعث له على ذلك إلا رجاء أن يكون من أهلها، فلما بشّره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بذلك، ألقى تمراته التي كانت بيده، وعدّ الانتظار حتى يأكلها حياة طويلة، فاستعجل الشهادة غيرةً على الحق، وإقدامًا في سبيل الله، فرمى ما معه وانغمس في القتال حتى قُتل شهيدًا، فكان مثال الغيرة التي لا تطيق تأخرًا عن طاعة الله ورسوله، غيرة جعلته يزهد في الدنيا كلها، ويرى أن لقيمات تمر تؤخّره عن الجنة أمر لا يُطاق، وهكذا ارتقى عمير بن الحمام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ درجة عالية بغيرته الصادقة وشجاعته العظيمة.

غيرة جليبيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَنَعَمْ إِذًا»، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَا هَا اللهُ إِذًا، أَمَا وَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبِيبًا، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟! قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟! إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ، فَأَنْكِحُوهُ، قال: فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ

عَنْ أَبَوَيْهَا، وَقَالَا: صَدَقْتِ، فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ، فَقَدْ رَضِينَاهُ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ»، فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ ثَيِّبٍ فِي الْمَدِينَةِ. رواه أحمد، برقم: (١٢٣٩٣)، وصححه الإمام الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، برقم: (٤٠٤٧).

هذا الأثر الجليل يكشف عن غيرة جليبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على دين الله ورغم ما كان فيه من فقرٍ وهيئةٍ لا تُنافس أشراف القوم، فقد شرّفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخطبة امرأة من الأنصار، فقبلت الفتاة مستسلمة لقدر الله ومكرمة لقرار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم جاءت ساعة البلاء، فانطلق جليبيب يقاتل بشجاعة عظيمة، فوجدوه قد قُتل وحوله سبعة من المشركين صرعى بسيفه، فكانت شهادته أصدق برهان على غيرته على نصرة دين الله، وحرصه أن يثبت صدقه بالفعل لا بالقول، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين رآه: «قَتَلَ سَبْعَةً، وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» رواه أحمد، برقم: (١٩٧٧٨)، وصححه الإمام الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، برقم: (٤٠٤٤)، وهي شهادة عظيمة في غيرته وصدقه، فصار بيته من أنفق بيوت المدينة، وخلّد التاريخ ذكره، مثالًا للغيرة الصادقة على طاعة الله ورسوله، والنجدة في سبيله.

باب نماذج من غيرة السلف الصالح على دين الله

غيرة عُمَرُ بنُ حَبيبٍ العَدَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عن عُمَر بْن حبيب، قَالَ: حضرت مجلس هارون الرشيد، فجرت مسألة فتنازعها الحضور، وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قَالَ قائلون منهم: لا يحمل هذا الحديث عَن رَسُولِ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فإن أبا هُرَيْرَةَ متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح عَن رَسُولِ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وأبو هُرَيْرَةَ صحيح النقل، صدوق فيما يرويه عَن نبي اللهِّ، وغيره، فنظر إليّ الرشيد نظر مغضب، فقمت من المجلس، فانصرفت إِلَى منزلي، فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب، فدخل علي، فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط، وتكفن، فقلت: اللهم إنك تعلم أني دافعت عَن صاحب نبيك، وأجللت نبيك صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه، فأدخلت على الرشيد، وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عَن ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه النطع، فلما بصر بي، قَالَ لي: يا عُمَر بْن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به! فقلت يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته، وجادلت عليه، فيه إزراء على رَسُولِ اللهِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين، فالشريعة باطلة، والفرائض، والأحكام فِي الصيام والصلاة والطلاق

والنكاح والحدود كله مردود، وغير مقبول، فرجع إِلَى نفسه، ثم قَالَ لي: أحييتني يا عُمَر بْن حبيب أحياك اللهَّ، أحييتني يا عُمَر بْن حبيب أحياك اللهَّ! وأمر لي بعشرة آلاف درهم. رواه الخطيب في «تاريخ بغداد ت بشار» (١٣/ ٢٧).

وهذا الأثر النفيس يبين عظمة غيرة العلماء والصالحين على سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويبرز مكانة الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وفي مقدمتهم أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد وقف عمر بن حبيب العَدوي رَحِمَهُ اللهُ في مجلس هارون الرشيد موقفًا مهيبًا، لما رآهم يطعنون في أبي هريرة ويتهمونه في حديثه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فاشتعلت غيرته لله ولدينه، ورأى أن الطعن في أبي هريرة إنما هو طعن في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نفسه، لأن القدح في الناقل قدح في المنقول، وإذا سقطت ثقة الصحابة سقطت الشريعة كلها.

لم يبالِ عمر بن حبيب بسطوة السلطان ولا بتهديده، وإنما تكلم بكلمة الحق، مبينًا أن تكذيب الصحابة يفضي إلى إبطال الدين وإهدار أحكامه، فكانت غيرته سببًا في أن يعود الرشيد إلى رشده، ويقر بفضله، ويثيبه جزيل العطاء، قائلًا: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله، فصار هذا الموقف شاهدًا على أن الغيرة الصادقة على دين الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تحفظ للمرء عزّه في الدنيا ورفعةً في الآخرة.

غيرة الخليفة هارون الرشيد رَحِمَهُ اللهُ

عَنْ أَبِي صَالِحٍ أن أَمِير الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ، كلما قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِي وَمَوْلايَ، حَتَّى ذَكَرْتُ حَدِيثَ الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ عَمُّهُ، وَسَمَّاهُ عَلِيَّ، فَذَهَبَ عَلِيَّ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيْنَ الْتَقَيَا؟ قَالَ: فَغَضِبَ هَارُونُ، وَقَالَ: مَنْ طَرَحَ إِلَيْكَ هَذَا وَأَمَرَ بِهِ؟ قَالَ: فَحُبِسَ، وَوَكَّلَ بِي مِنْ حَشَمِهِ مَنْ أَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فِي مَحْبَسِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا هُوَ إِلا شَيْءٌ خَطَرَ بِبَالِي وَحَلَفَ لِي بِالْعِتْقِ وَصَدَقَةِ الْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُغَلَّظَاتِ الأَيْمَانِ مَا سَمِعْتُ مِنْ أَحَدٍ، وَلا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ فِي هَذَا كَلامٌ، وَمَا هُوَ إِلا شَيْءٌ خَطَرَ بِبَالِي لَمْ يَجْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٌ فِيهِ كَلامٌ، قَالَ: فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَلَّمْتُهُ، قَالَ: لِيَدُلَّنِي عَلَى مَنْ طَرَحَ إِلَيْهِ هَذَا الْكَلامُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ حَلَفَ بِالْعِتْقِ وَمُغَلَّظَاتِ الأَيْمَانِ أَنَّهُ إِنَّمَا شَيْءٌ خَطَرَ بِبَالِي لَمْ يَجْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ فِيهِ كَلامٌ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَأُطْلِقَ مِنَ الْحَبْسِ، وَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ وَيْحَكَ إِنَّمَا تَوَهَّمْتَ أَنَّهُ طَرَحَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُلْحِدِينَ هَذَا الْكَلامُ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ فَيَدُلُّنِي عَلَيْهِمْ فَأَسْتَبِيحَهُمْ، وَإِلا فَأَنَا عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الْقُرَشِيَّ لا يَتَزَنْدَقُ، قَالَ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ مِنَ الْكَلامِ أَخْبَرَنَا أبو عمر الحسن بن عثمان بن أحمد الواعظ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جعفر بن محمد بن أحمد الواسطي، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو الطيب النعمان بن أحمد القاضي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أحمد بن زكريا بن سفيان، قَالَ: سمعت أصحابنا، يقولون: قَالَ أبو معاوية: دخلت على هارون، يعني: أمير المؤمنين، فقال لي: يا أبا معاوية لهممت أنه من ثبت خلافة علي فعلت به وفعلت به؟ فسكتّ، فقال لي: تكلم تكلم، قَالَ: قلت: إن أذنت لي تكلمت، قَالَ: تكلم، فقلت: يا أمير المؤمنين، قالت تيم: منا خليفة رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقالت عدي: منا خليفة خليفة رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقالت بنو أمية: منا خليفة الخلفاء، فأين حظكم يا بني هاشم

من الخلافة؟ والله ما حظكم فيها إلا ابن أبي طالب. فقال: والله يا أبا معاوية لا يبلغني أن أحدا لم يثبت خلافة علي إلا فعلت به كذا وكذا، أَخْبَرَنَا أبو القاسم الأزهري، قَالَ: أَخْبَرَنَا عمر بن أحمد الواعظ، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد، قَالَ: حَدَّثَنَا محمود بن غيلان، قَالَ: قَالَ أبو نعيم، سمعت الأعمش يقول لأبي معاوية: أما أنت فقد ربطت رأس كيسك. وَقَالَ محمود: سمعت شبابة يقول: جاء أبو معاوية حتى جلس في مجلس شعبة، فرفع رأسه، فقال: من هذا انظروا؟ فإذا هو أبو معاوية، فقال: يا أبا معاوية سمعت حديث كذا وكذا من الأعمش؟ قَالَ: نعم، قَالَ شعبة: هذا صاحب الأعمش فاعرفوه. رواه الخطيب في «تاريخ بغداد ت بشار» (٣/ ١٣٤).

هذا الأثر النفيس يصوّر لنا غيرة الخليفة هارون الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على دين الله وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد التعظيم لحديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، لا يُذكر بين يديه إلا صلى على رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان يغضب إذا رُئي في كلام أحدٍ مساس أو شك في حديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو في أصحابه الكرام، فلما سمع كلمة توهّم منها أنها دسيسة من ملاحدة أو زنادقة، اشتعلت غيرته، وأمر بالتحقيق والحبس حتى تحقق له أن القائل لم يقصد الطعن، وإنما كان خاطرًا جرى ببال.

وهذا الموقف يدل على أن غيرة هارون الرشيد لم تكن مجرد حماس، بل كانت غيرته مبنية على يقين بأن الطعن في سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو أصحابه مدخل للزندقة والإلحاد، فكان يتتبع ذلك ويغار على الدين، مستشعرًا مسؤوليته

العظمى كأمير للمؤمنين، كما نُقل عنه قسمه أنه لو بلغه أن أحدًا أنكر خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفعل به وفعل، مما يدل على غيرته على وحدة الأمة وصيانة مقام الخلفاء الراشدين.

فكان هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ مثالًا للخليفة الذي غار على الشريعة وأهلها، فصان مكانة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ووقف بالمرصاد لكل من تُشم منه رائحة طعن أو إلحاد.

غيرة رجل على زوجته أمام القاضي

عن محمد بن أحمد بن موسى القاضي، قال: حضرت مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالري سنة ست وثمانين ومائتين، وتقدمت امرأة، فادعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهرا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك؟ قَالَ: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد، وقالوا للمرأة: قومي، فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قَالَ الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها علي هذا المهر الذي تدعيه، ولا تسفر عن وجهها، فردت المرأة وأخبرت بما كان من زوجها، فقالت المرأة: فإني أشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة، فقال: القاضي يكتب هذا في مكارم الأخلاق. رواه الخطيب في «تاريخ بغداد ت بشار» (١٥/ ٥١).

هذا الخبر العجيب يكشف عن غيرة رجل صادق على زوجته وحرصه على صيانتها، فإنه لما طُلب من المرأة أن تسفر ليعرفها الشاهد أمام القاضي، ثارت غيرته

وفضّل أن يقرّ بالمهر كله على أن يُرى وجه امرأته بين الناس، فاختار الخسارة المالية على أن يُمَسّ حياؤها أو تُنتهك حرمتها. فلما بلغ ذلك المرأة، قابلت غيرته بوفاء أعظم، فأبرأته من مهرها كله، وجعلت ذلك في الدنيا والآخرة، فاجتمع في هذا الموقف غيرة الرجل ووفاء المرأة، حتى قال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق.

إنه مشهد بديع من الغيرة الشرعية والوفاء الزوجي، يُظهر كيف تصون الغيرة الأعراض، وكيف يقابلها الوفاء بالبر والإحسان، فيبقى البيت عامرًا بالعفة والمودة، وهذا من أعظم الدروس للأزواج والزوجات أن الغيرة على الحرمات مقرونة بالوفاء والستر، هي عنوان الشرف ومكارم الأخلاق.

باب غيرة أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ

الغيرة خُلُقٌ جبليّ في النساء، وهي دليل على كمال المحبة وشدة التعلّق، وقد جُبلت عليها النفوس، فلا يسلم منها بيت، ولا يخلو منها قلب امرأة تجاه زوجها، لا سيما إذا كان الزوج عظيم القدر رفيع المنزلة في قلبها، وإذا كانت الغيرة تقع بين النساء العاديات، فإنها في بيت النبوة أولى بالذكر، فقد اجتمعت فيه أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وهن أطهر نساء الأمة وأشرفهن نسبًا، ومع ذلك لم تخلُ حياتهن من صور الغيرة البشرية الفطرية، غير أن ما وقع منهن كان في حدود الفطرة البشرية، ثم يُهذّبه الوحي ويقومه هدي النبوة، فبقي درسًا خالدًا للأمة: أن الغيرة صفة محمودة إذا لم تُجاوز حدّها، وأنها إذا خرجت عن الاعتدال رُدّت برفق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحكمته، فجمعت بين بقاء الطبع البشري وصيانة الشرع.

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ**»، فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: «**فَأَحِبِّي هَذِهِ**»، قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي، قَالَتْ: وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى للهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ، كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا؟ قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَبَسَّمَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ». رواه مسلم، برقم: (٢٤٤٢).

هذا الحديث يرسم صورة واضحة من غيرة أمهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ، ولا سيما ما كان بينهن وبين أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، إذ كن يرين منزلتها عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فاجتمعن وأرسلن فاطمة بنت رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لتكلمه في شأن العدل بزعمهن تجاه عائشة، فجاء جواب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ برفق وحكمة: «أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ فَأَحِبِّي هَذِهِ»، أي عائشة، فكان ذلك درسًا لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فعادت وأقسمت ألا تعود للكلام في ذلك، ثم لما لم يرضَ بقية أمهات المؤمنين بذلك، أرسلن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت أكثرهن مكانة بعد عائشة، لكنها غارت فتكلمت، فانتظرت عائشة إشارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلما رأت أنه لا يكره ردها، أجابت زينب وردت عليها حتى غلبتها عندها تبسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال كلمته المشهورة: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ»، مشيرًا إلى فطنتها وقوة حجتها.

وفي هذا يظهر أن الغيرة كانت أمرًا طبيعيًا بين أمهات المؤمنين، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يديرها بحكمة ورحمة، فبقيت دروسًا عظيمة في الجمع بين الطباع البشرية والسمو النبوي.

وفي هذا الحديث العظيم عدة فوائد، منها:

١. بيان غيرة أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وتنافسهن في القرب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو أمر فطري في النساء، لكنه مع ذلك بقي في دائرة المباح.

٢. مكانة عائشة عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حتى اجتمعن أزواجه وطلبن من فاطمة وزينب أن يطلبن منه العدل في شأنها، وهذا يوضح ما كان لها من الحظوة الخاصة.

٣. حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في معالجة الموقف، إذ لم يواجه بقية

زوجاته مواجهة شديدة، بل بيّن لفاطمة أن حبها ينبغي أن يكون حيث يحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٤. منزلة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إذ دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو في مرط عائشة، فدلّ ذلك على ثقتها وقربها من أبيها، ومع ذلك لم تتجاوز في الخطاب، بل رجعت حين أجابها.

٥. ثناء عائشة على زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بخصالها الجليلة من الدين والصدق والصدقة وصلة الرحم، مما يدل على إنصافها واعترافها بالفضل مع شدة المنافسة بينهما.

٦. إثبات أن زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت أشد أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منافسة لعائشة في المنزلة، ومع ذلك كانت صادقة الدين، إلا أن فيها حدّة بشرية في جانب الغيرة سرعان ما تزول.

٧. إباحة الانتصار للنفس عند وقوع الظلم، فقد استأذنت عائشة ببصرها في إشارة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلما رأت أنه لم يمنعها انتصرت لنفسها.

٨. ابتسامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من ردّ عائشة على زينب، وفيه إقرار على ذلك القدر، وتعليق يدل على قوة حجتها وحسن بيانها، بقوله: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ».

٩. فيه إشارة إلى فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن ابنته ورثت منه الفصاحة والبيان وقوة الحجة.

١٠. أن التنافس بين الضرائر مهما بلغ لم يفسد مكانتهن عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد بقيت كل واحدة منهن على فضلها، وهذا من عدله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ورحمته.

فالحديث يجمع بين غيرة النساء، وحكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في التعامل، وإنصاف عائشة في ذكر محاسن غيرها، وعلو منزلتها في الحجة والبيان.

ومن ذلك ما جاء عن عروة بن الزبير قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا» رواه البخاري، برقم: (٣٧٧٥).

هذا الحديث الشريف يوضح غيرة أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ حين لاحظن أن الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لما كان لها من المكانة الخاصة في قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فاجتمعن وأرسلن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يعدل في هذا الأمر، فيجعل الهدايا حيثما كان، لا أن تُخصّص عائشة بها، غير أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعرض عن الجواب أولًا، فلما ألحّت أم سلمة في المرة الثالثة، بيّن لها الحقيقة العظمى بقوله: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا»،

وهو تصريح واضح بمزية عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وخصوصيتها عند الله ورسوله، حيث اختصّها الله بإنزال الوحي في بيتها وعلى فراشها.

وفي هذا الحديث عدة فوائد منها:

١. محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ الخاصة لعائشة: فقد اختصها الله بمكانة لم يشركها فيها غيرها، حتى كان الناس يعرفون هذه المنزلة، فيتحرّون إهداء هداياهم في يومها طلبًا لرضى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

٢. طبيعة الغيرة بين أمهات المؤمنين: اجتمعن عند أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ليطلبن منها أن تكلم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في تسوية الأمر، وهذا من الغيرة البشرية التي تقع بين الضرائر، وإن كنّ كلهن على خير وفضل.

٣. مكانة أم سلمة: إذ اختارتها بقية أمهات المؤمنين لعرض الأمر على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، لما لها من عقل وحكمة ومنزلة عنده، وهذا يدل على رجاحة عقلها.

٤. حلم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وحكمته: أعرض في المرة الأولى والثانية، ليُفهم أن الأمر لا مجال فيه للمراجعة، ثم صرّح في الثالثة بكلمة حاسمة: «لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ»، فدلّ على أنه كان يربيهن بالتدرج واللطف أولًا، ثم بالبيان الحاسم عند الحاجة.

٥. شرف ورفعة لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا»، شهادة عظيمة من النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لمكانة عائشة عند الله، إذ لم ينزل الوحي في لحاف غيرها من نسائه، وهذه منقبة خاصة لم تنلها واحدة منهن.

٦. منهج نبوي في التعامل مع الغيرة: لم يُلَم بقية أمهات المؤمنين على طلبهن، لكنه بيّن لهن أن الأمر قدر واصطفاء رباني، لا يُغيّر بالمطالبة.

٧. فيه إثبات أن تفاضل الأزواج في المحبة أمر لا يملك الإنسان دفعه عن قلبه، وإنما الواجب العدل في الحقوق الظاهرة، وقد قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بذلك أكمل القيام.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى، إِلَّا فِي تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَجَاءَتْ زَيْنَبُ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا، فقَالَت: هَذِهِ زَيْنَبُ، فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَتَقَاوَلَتَا، حَتَّى اسْتَخَبَتَا وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا، فقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِّ، إِلَى الصَّلَاةِ وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقَالَت عَائِشَةُ: الْآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ، فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَتَصْنَعِينَ هَذَا. رواه مسلم، برقم: (١٤٦٢).

هذا الأثر فيه تصوير دقيق لما كان يجري أحيانًا في بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من صور الغيرة والتنافس بين أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، مع

ما فيها من التربية والتأديب والبيان.

وقد اشتمل الحديث على عدة فوائد منها:

١. إثبات غيرة الضرائر: فالغيرة طبيعة جبلية في النساء، حتى في بيوت أزكى الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي ذلك تسلية للرجال والنساء أن ما يقع من هذه الأحوال أمر معتاد في الطبائع.

٢. حرص أمهات المؤمنين على الاجتماع برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: حيث كن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يكون عندها، حبًا في القرب منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٣. عِظَم مكانة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إذ جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عندها كثيرًا من لياليه، وكان بيتها مجمعًا لبقية نسائه، مما دلّ على رفعتها في قلبه.

٤. إظهار عدل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحكمته: فقد مد يده إلى زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثم كفّها لما نُبِّه، مما فيه دقة التزامه بحقوق كل واحدة منهن، وأنه لا يظلم إحداهن في القسم.

٥. تدخل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حيث أراد أن يؤدب ابنته لما رآه من رفع الصوت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي ذلك غيرة عظيمة منه على جناب النبي الكريم.

٦. حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أداء الصلاة: فلم ينشغل بما جرى من الجدال، وإنما خرج مسرعًا لأداء الصلاة، مقدِّمًا حق الله على كل شأن.

٧. فيه درس للبيوت المسلمة: أن المشاكل قد تقع حتى في خير البيوت، ولكن ينبغي معالجتها بالحكمة، والتأديب بالمعروف، دون ظلم ولا تجاوز.

٨. رفق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في معالجة المواقف: فلم يشتد على نسائه حين وقعت الخصومة، بل ترك الأمر حتى هدأ، مما يعلّم الأزواج أن الحكمة والصبر أنفع من العجلة والغضب.

من غيرة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا

كانت عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أحبّ نساء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ إليه، وأقربهن إلى قلبه، ولذلك كانت غيرتها عليه شديدة، لكنها غيرة ممزوجة بكمال المحبة وصدق التعلّق به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد رباها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ على تهذيب هذه الغيرة وضبطها، فبقيت مواقفها شاهدًا على عفويتها وصفاء قلبها، ودروسًا بليغة للأمة في أن الغيرة لا تنفك عن المحبة الصادقة.

وإنما أذكر هنا مواقف غيرة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا خاصة، أما بقية أمهات المؤمنين فقد تقدّم الكلام على غيرتهن عمومًا، إذ وردت نصوص عامة في غيرة ضرائر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ مجتمعات، بينما تميزت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بأن غيرتها كانت أوضح وأقوى ظهورًا، وجاءت فيها نصوص وأحاديث خاصة تسرد مواقفها بعينها، مما جعل غيرتها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أوضح صورةً وأبرز أثرًا في بيت النبوة، وفي تربية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لأزواجه ومن أبرز مواقف غيرتها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا ما يلي:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا، قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ، فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟**»، فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟**»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟، قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ:

وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟، قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ» رواه مسلم، برقم: (٢٨١٥).

هذا الحديث الشريف يكشف بجلاء غيرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد خرج من بيتها ليلًا فغارت وظنت أنه قصد غيرها من نسائه، فلما رجع ورأى حالها قال لها بلطف: «مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟»، فكان جوابها طبيعيًا صادقًا: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، أي: كيف لا تغار امرأة على رجل هو سيد الخلق وأكرمهم، ثم استغل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الموقف لتعليمها أصلًا عظيمًا من أصول العقيدة، فبين لها أن مع كل إنسان شيطانًا يوسوس له ويثير خواطر السوء، إلا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أعانه الله على شيطانه حتى أسلم وخضع، فلا سلطان له عليه.

وفي هذا الحديث عدة فوائد عظيمة، منها:

١. إثبات شدة محبة عائشة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وغيرتها عليه، وهذا أمر جبلي فُطر عليه النساء، حتى خيارهن، فلا يذم إذا لم يتجاوز حدّه.

٢. حسن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في معالجة الغيرة، فقد قابل موقفها باللطف والمزاح، فقال: «مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟» ولم يعنّفها، بل أدبها بالحكمة.

٣. إثبات أن لكل إنسان قرينًا من الشياطين، يوسوس له ويزيّن له الشر، كما قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ [فصلت:٢٥].

٤. اختصاص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأن الله أعانه على شيطانه حتى أسلم،

فلم يعد يأمره إلا بالخير، وهذا من خصائصه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ.

٥. التحذير من الانسياق وراء وساوس الشيطان في باب الغيرة والظنون، فإنها من أخطر أبواب التفريق بين الزوجين.

٦. فيه دلالة على أن الأصل في الغيرة أنها من الشيطان إذا تجاوزت حدّها المشروع، فهي تفسد القلوب وتقطع الوصال.

٧. فيه تعليم للأمة بالصبر على وساوس الشيطان ومجاهدة النفس، واللجوء إلى الله ليعين العبد على شيطانه.

٨. فيه بيان فضل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وكرامته عند ربه، إذ أعانه على شيطانه وخصّه بها لم يُعطَ أحد من البشر.

فهو حديث يجمع بين بيان بشرية أمهات المؤمنين، وحكمة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، وحقيقة الصراع مع الشيطان، وفضل المعونة الإلهية.

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ

إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي»، قُلْتُ: نَعَمْ فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ»، قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ، وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ»، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «قُولِي السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ». رواه مسلم، برقم: (٩٧٤).

هذا الحديث من أوضح الشواهد على غيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحبها الشديد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد رأت خروجه في جوف الليل سرًا، فهاجت غيرتها وظنّت أنه ذهب لبعض نسائه، فلبست على عجل وتبعته خفية حتى رأته في البقيع قائمًا يدعو ويستغفر للمؤمنين. فلما رجعت سبقتْه إلى الفراش وأخذها الاضطراب، فأخبرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالحقائق: أنه لم يذهب إلى نسائه، وإنما جاءه جبريل وأمره أن يزور أهل البقيع. ثم أدّبها بقوله: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ» إشارة إلى أن غيرتها جعلتها تسيء الظن، فصحّح لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المعنى برفق وبيان. وفي هذا درس عظيم: أن الغيرة طبيعة في النساء حتى في بيت النبوة، وأنه لا بد أن تُضبط بحسن الظن والثقة بعدل الله

ورسوله، كما أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يواجه غيرة زوجاته بالحكمة والتربية، لا بالقسوة ولا بالإهمال، فجمع بين حفظ مكانتهن وهداية قلوبهن.

وفي هذا الحديث العظيم جملة من الفوائد:

١. إثبات شدة غيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحرصها على متابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومحبته، حتى قامت في الليل لتتبعه خفية.

٢. إثبات بشريتهن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، فالغيرة أمر فطري عند النساء، ولم يُنكِره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا في حدود الشرع.

٣. حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على كتمان بعض شؤونه الخاصة لئلا يوقظ أهله أو يثقل عليهن، ومن ذلك خروجه بهدوء ووضع ثيابه رويدًا رويدًا.

٤. عظم عناية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأهل البقيع واستغفاره لهم، وفي ذلك دليل على استحباب زيارة المقابر والدعاء للموتى.

٥. تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأمته دعاء زيارة القبور: «**قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ...**»، وهو من الأدعية المأثورة الثابتة.

٦. حرص جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على إعلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأمر ربه ولو في أوقات الليل، وفيه دلالة على عظم شأن هذا البلاغ المتعلق بأهل البقيع.

٧. لطف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عتابه، إذ قال: «**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ**»، فهو عتاب لطيف يحمل رحمة وتعليمًا.

٨. جواز كشف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعائشة عن سبب خروجه، وفيه

بيان للأمة في تبليغ ما يوحى به، حتى فيما يتعلق بأهله.

٩. بيان أدب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، إقرارًا بأن ما فعلته لم يخفَ على الله.

١٠. مشروعية رفع اليدين في الدعاء عند القبور، فقد رفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يديه ثلاث مرات يدعو.

١١. بيان أدب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أزواجه، حيث خشي أن تستوحش لو أيقظها، أو تتأذى لو تركها دون علم.

فالحديث يجمع بين غيرة النساء الفطرية، وحكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في التعامل، وحرصه على الاستغفار للأمة، وتعليمه الدعاء لأهل القبور.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ»، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ. رواه البخاري، برقم: (٥٢٢٥).

وفي رواية ورد تسميتها عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ - أَظُنُّهَا عَائِشَةَ - فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ

لَهَا بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، قَالَ: فَضَرَبَتِ الْأُخْرَى بِيَدِ الْخَادِمِ، فَكُسِرَتِ الْقَصْعَةُ بِنِصْفَيْنِ، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ»، قَالَ: وَأَخَذَ الْكِسْرَيْنِ فَضَمَّ إِحْدَاهُمَا إِلَى الآخر، فَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، ثُمَّ قَالَ: «كُلُوا» فَأَكَلُوا وَحَبَسَ الرَّسُولَ، وَالْقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ إِلَى الرَّسُولِ قَصْعَةً أُخْرَى، وَتَرَكَ الْمَكْسُورَةَ مَكَانَهَا. رواه أحمد في مسنده، برقم: (١٢٠٢٧)، وصححه محققوا المسند (١٩/ ٨٤) ط الرسالة.

هذه صورة من غيرتها الشديدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي غيرة محمودة من حيث أصلها لأنها نابعة من كمال المحبة، لكنها إذا تجاوزت حدها ظهرت مثل هذه الآثار، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بحلمه العظيم احتوى الموقف وقال مهدئًا: «غَارَتْ أُمُّكُمْ»، ليبين أن ما صدر منها ليس عن سوء قصد ولا بُغض، وإنما هو أثر الفطرة البشرية، وهكذا بقي هذا الحدث درسًا خالدًا للأمة: أن الغيرة طبع نسويّ لا يخلو منه بيت، وأن على الزوج أن يقابلها بالحلم والحكمة كما فعل سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذا الحديث الشريف فوائد جليلة، منها:

١. إثبات وقوع الغيرة بين أمهات المؤمنين، فهي طبيعة جبلية لا يسلم منها حتى خيرة النساء.

٢. حسن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في معالجة الموقف، حيث لطف وقال: «غَارَتْ أُمُّكُمْ»، فلم يعب ولم يوبخ، بل اعتذر عنها وهدّأ الموقف.

٣. حكمته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ في الإصلاح، حيث جمع الطعام ووضعه في الصحفة المكسورة وقال: «كُلُوا» فلم يترك للطعام أن يضيع.

٤. عدله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ بين زوجاته، فأمسك المكسورة عند من كسرتها، وأعطى السليمة لصاحبتها التي أُتلف إناؤها.

٥. إشارة إلى أن الغيرة قد تدفع إلى تصرف غير محمود، ومع ذلك فهي معذورة لطبيعتها النسائية.

٦. فيه دليل على أن على الزوج أن يراعي مشاعر زوجته عند الغيرة، وألا يعاملها بالقسوة، بل بالحكمة واللين.

٧. في الحديث درس للأمة في ضبط النفس عند الغضب، واحتواء المواقف بسلام، بدل إشعال الفتنة.

٨. قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ، غَارَتْ أُمُّكُمْ» فيه تطييب لخاطر عائشة، وبيان أن غيرتها لم تنقص من قدرها، بل هي أم المؤمنين مهما كان.

فالحديث يجمع بين غيرة نسائية فطرية، وحلم نبوي كريم، وعدل حكيم، وتربية عملية للأمة.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ [الأحزاب: ٥١]، قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ. رواه البخاري، برقم: (٤٧٨٨)،

ومسلم، برقم: (١٤٦٤).

هذا الحديث يكشف عن غيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من النساء اللاتي كن يهبن أنفسهن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إذ كانت ترى أن ذلك أمرًا عجيبًا، وتقول متعجبة: أتهب المرأة نفسها؟ فلما نزل قول الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥١]، علّقت عائشة بغيرتها الفطرية قائلة: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

وفي هذا الأثر العظيم عدة فوائد، منها:

١. إثبات طبيعة الغيرة عند النساء، حتى مع كمال إيمان عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومكانتها، فهي صفة جِبلية لا يسلم منها أحد.

٢. بيان مكانة عائشة وصدقها، فقد روت ما وقع منها بوضوح وصراحة، وهذا من إنصافها وأمانتها في النقل.

٣. إشارة إلى حكم الواهبات أنفسهن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأن الله خيَّره في قبولهن أو ردهن كما في قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١].

٤. إظهار محبة الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتيسيره له، حيث جاء التشريع موافقًا لمصلحته وراحته، وهو من خصوصياته التي لا تكون لغيره.

٥. فيه دليل على أن الغيرة قد تدفع المرأة إلى قول كلام لا يخلو من شدة، ومع ذلك فإن الشرع يتجاوز ذلك لما جُبلت عليه.

٦. تربية عملية للأمة، أن الزوج عليه أن يراعي غيرة زوجته ولا يقابلها

بالعنف، بل بالصبر والحلم كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٧. إشارة إلى علو مقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند ربه، حيث لم يكن الله يسارع إلا فيما فيه رحمة بعباده أو إكرام لنبيه.

فالحديث يجمع بين بيان فضل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعلو منزلته عند ربه، وصدق عائشة في نقل ما كان منها مع وجود الغيرة، وعفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحلمه.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاح لِذَلِكَ(١)، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ»، قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ(٢) هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُّ خَيْرًا مِنْهَا. رواه البخاري، برقم: (٣٨٢١)، ومسلم، برقم: (٢٤٣٧).

هذا الحديث يبين غيرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى من ذكر خديجة

---

(١) فارتاع لذلك: أي: هش لمجيئها وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها. وفي هذا دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب

(٢) حمراء الشدقين: معناه عجوز كبيرة جدا

رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بعد وفاتها، فقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ يكثر الثناء على خديجة ارتاح لذلك وذكرها بالخير، ويظهر وفاءه لها، فلما سمعت عائشة استئذان هالة أختها وتذكر النبي صوت خديجة وذكرها، فغارت عائشة وقالت ما قالت، وهذه الغيرة طبيعية مفهومة، إذ كانت صغيرة السن، شديدة الحب لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، فغارت من امرأة توفيت قبل أن تتزوج به، ومع ذلك فإن قولها: "قد أبدلك الله خيرًا منها" لا يُفهم أنه ازدراء لخديجة، وإنما هي غيرة عاطفية بشرية، وقد ردّها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ برفق وبيّن وفاءه العظيم لخديجة، وفي هذا درس أن الغيرة قد تحمل المرأة على قول ما لا تقصده، وأن على الزوج أن يعالج ذلك بالحكمة كما فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ.

وفي هذا الحديث عدة فوائد جليلة، منها:

١. إثبات بشرية أمهات المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُنَّ، وأن الغيرة طبيعة جبلية لا يسلم منها أحد، حتى عائشة الصديقة بنت الصديق.

٢. بيان عظيم وفاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ لخديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا حيث كان يكثر من ذكرها، ويفرح بذكر من يذكّره بها، وفي هذا أعظم درس في الوفاء للزوجة الصالحة بعد موتها.

٣. جواز مدح الميت بما فيه من الخير، كما فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ مع خديجة، من الثناء عليها وتكرار ذكر فضلها.

٤. حسن سياسة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ لزوجاته، حيث لم يعنّف عائشة

رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا مع شدّة غيرتها، بل قابل ذلك بالحلم والحكمة.

٥. بيان فضل خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، إذ هي أول من آمنت برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ وواسته بنفسها ومالها، حتى صار ذكرها يحيي في قلب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ من الوفاء ما لا يزول مع مرور السنين.

٦. فيه درس للأزواج بضرورة الوفاء لزوجاتهم، والإحسان إليهن حيًّا وميتًا، وعدم نسيان فضل من قدّموا التضحية في أشد الأوقات.

٧. فيه درس للنساء بالصبر على الغيرة، وضبط العاطفة، ومعرفة أن مقام بعض الزوجات قد يثبت في قلب الرجل لسبب من الدين والوفاء لا يزيله شيء.

٨. التنبيه على أن الغيرة إذا دفعت إلى قول غير لائق ينبغي الاستغفار منه، وألا يفرح به، فهي زلة عاطفة لا تدل على فساد أصل.

فهذا الحديث مدرسة في الغيرة والوفاء، والحكمة النبوية في إدارة البيت.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَا تَرْكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرَكِ تَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ، فَقَالَتْ: بَلَى، فَرَكِبَتْ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ إِلَى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلُوا وَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ، فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ رِجْلَيْهَا بَيْنَ الْإِذْخِرِ، وَتَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا. رواه البخاري، برقم: (٥٢١١)، ومسلم، برقم: (٢٤٤٥).

هذا الحديث يرسم لنا صورة جليّة من غيرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، حين احتالت حفصة بتبديل راحلتها مع عائشة لتظفر بالحديث مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ في الطريق، فلما مرّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ سلّم على من ظنها عائشة، فإذا هي حفصة، فمشى معها حتى النزول، عندها اشتدت غيرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، حتى جلست بين شجر الإذخر تدعو ربها أن يسلّط عليها عقربًا أو حيّة تلدغها ولا تستطيع أن تصرّح بما في نفسها.

وفي هذا الحديث عدة فوائد جليلة، منها:

١. إثبات عدل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بين نسائه، حيث كان إذا أراد السفر أقرع بينهن، فمن خرج سهمها خرج بها، وهذا غاية في الإنصاف.

٢. إظهار محبة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، إذ كان إذا سار بالليل جعل حديثه معها، وهذا من حسن العشرة.

٣. بيان طبيعة الغيرة بين الضرائر، فقد احتالت حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا على عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بطلب تبادل البعير، لتنال قُرب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ في المسير.

٤. ما جبلت عليه عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا من شدة الغيرة، حتى دعت على نفسها بالموت بلدغ عقرب أو حيّة لما رأت ما وقع.

٥. إظهار حلم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ وصبره على غيرتهن، فلم يعنّف إحداهن، بل مرّ الأمر بسلام، وهذا منهج نبوي في معالجة مثل هذه المواقف.

٦. فيه أن الغيرة قد تدفع إلى أقوال أو أفعال شديدة، لكنها مع ذلك مغفورة

إذا صدرت عن عاطفة صادقة، لا عن بغي وعدوان.

٧. تسلية الأزواج بما يقع بين نسائهم من غيرة ومنافسة، فإن ذلك قد وقع في بيت النبوة، ومع خير نساء العالمين، فلا يخلو منه بيت.

فالحديث يجمع بين عدله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشدة محبته لعائشة، وما جبلت عليه أمهات المؤمنين من الغيرة، وحلمه في معالجة الموقف.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَالْحَلْوَاءَ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ فَغِرْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ، فَسَقَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ: إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ، فَإِذَا دَنَا مِنْكِ فَقُولِي: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: لَا، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ وَسَأَقُولُ ذَلِكِ، وَقُولِي أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ ذَاكِ، قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتِنِي بِهِ فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا، قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ، قَالَ: «سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ»، فَقَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفِيَّةَ، قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ»، قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي.

رواه البخاري، برقم: (٥٢٦٨)، واللفظ له، ومسلم، برقم: (١٤٧٤).

هذا الحديث الجليل يكشف بوضوح جانبًا من غيرة أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وتحديدًا غيرة عائشة ومن معها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين أطال المكث عند حفصة بسبب شربة عسل سقته إياها، فغارت قلوبهن وظنن أن ذلك يرفع شأن حفصة عليهن، فتحايلن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بما يشبه الاتفاق بين الضرائر، بأن يقلن له إن في فمه ريحًا غير طيبة بسبب العسل، حتى يرغب في تركه، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شديد الأدب والرقة مع أزواجه وحريص أن لا يقابلهن وغيرهن إلا طيب رائحة الفم، فامتنع عن شرب العسل مراعاة لخاطرهن، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١]، يبين أن ما فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من تحريم العسل على نفسه إنما كان عن مروءة وإرضاء لهن، لا عن تحريم شرعي.

وفي هذا الحديث العظيم عدة فوائد، منها:

١. بيان محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للعسل والحلواء، وهو من طيب المأكل المباح، وفيه جواز التلذذ بالطيبات.

٢. إثبات غيرة أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وأنها قد تحملهن أحيانًا على الحيلة من أجل صرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن غيرهن.

٣. إظهار ما جبلت عليه النفوس البشرية حتى في بيت النبوة، فلا يخلو قلب المرأة من غيرة، ولو كانت صالحة عابدة.

٤. أن الغيرة قد تحمل على التواطؤ بين الضرائر، كما فعلت عائشة وسودة وصفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، حيث اشتركن في الحيلة.

٥. فيه حلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصبره، فلم يغضب ولم يعنّفهن، بل ترك العسل الذي كان يحبه، مراعاة لخواطرهن.

٦. إشارة إلى أن أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما قصدن إلا القرب منه، لكنهن اجتهدن فيما لا ينبغي، فوقع منهن ذلك، ومع ذلك لم يسقط فضلهن.

٧. أن الإنسان قد يترك ما يحب إذا ترتب عليه فتنة أو إيذاء، كما ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العسل مع محبته له.

٨. فيه أن الغيرة طبيعة مغروزة، لا تسقط المروءة ولا العدالة إذا كانت في حدودها ولم تتجاوز إلى محرم.

٩. فيه فضيلة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ كانت صاحبة الغيرة الظاهرة، ومع ذلك صرحت في آخر القصة بقولها لسودة: اسكتي، لتدل على إدراكها لما جرى.

فالحديث يجمع بين محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للطيبات، وغيرة أمهات المؤمنين، وصبره وحكمته في معالجة المواقف.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»** رواه مسلم، برقم: (٤٨٦).

هذا الحديث العظيم يُظهر جانبًا من غيرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقد افتقدت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليلًا من فراشها، فغلب عليها الظن أنه ذهب إلى غيرها من أزواجه، فقامت تلتمسه، فإذا بها تجده منقطعًا إلى ربّه في صلاته ودعائه، يناجيه بكلمات خضوع وافتقار: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ...» ففي الموقف دليل على شدة محبة عائشة وغيرتها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأن الغيرة أمر جبلي لا يُذم إذا بقي في حدوده، كما يكشف عن عظيم عبادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واجتهاده في قيام الليل، وأنه كان ألذّ عنده من الدنيا وما فيها، فهي غيرة طاهرة مهذبة بالوحي، انتهت بطمأنينة قلبها حين وجدته قائمًا بين يدي ربه.

وفي هذا الحديث الجليل فوائد عظيمة، منها:

١. حرص عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على متابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومعرفة أحواله حتى في الليل، وذلك من كمال محبتها وغيرتها عليه.

٢. إثبات عبودية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقيامه بين يدي ربه بالليل، ففي الوقت الذي يُظن أنه نائم مع أهله، كان منقطعًا للعبادة والدعاء.

٣. بيان تواضع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في دعائه، إذ أقر بأنه لا يحيط بمدح الله ولا بحمده، وإنما الله هو الذي أثنى على نفسه كما يليق بجلاله.

٤. مشروعية الدعاء العظيم الوارد في الحديث، وهو من أجمع الأدعية: الاستعاذة برضا الله من سخطه، وبعافيته من عقوبته، والاستعاذة به منه سبحانه.

٥. إثبات أن الرضا والسخط والمعافاة والعقوبة صفات لله على ما يليق بجلاله

من غير تشبيه ولا تمثيل.

٦. فيه دلالة على يقظة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرتها المحمودة، فقد خرجت تبحث عنه لما افتقدته ليلًا.

٧. إشارة إلى أن حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانت موزعة بين أهله وحق ربه، فلا يُغفل هذا عن ذاك، بل يعطي كل ذي حق حقه.

فالحديث يجمع بين كمال عبودية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وحرص عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجلالة الدعاء النبوي المأثور.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا! قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ قُلْتُ: «**وَعَلَيْكُمْ**» رواه البخاري، برقم: (٦٠٢٤)، ومسلم، برقم: (٢١٦٥).

هذا الحديث فيه صورة واضحة من غيرتها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وحرصها على الدفاع عنه حتى في مقام الرد على أعدائه، فقد سمعت اليهود يلقون تحية مزيفة بقولهم: السام عليكم، أي: الموت عليكم، فبادرت هي برد شديد وقالت: وعليكم السام واللعنة، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علّمها مقام الرفق، وأرشدها إلى أن الاقتصار على قول: «**وَعَلَيْكُمْ**» كافٍ، **لأن الجزاء قد وقع**

عليهم بما أرادوا أن يُصيبه به، وزيادة، من غير حاجة إلى التشديد أو الفحش في القول.

وفيه عدة فوائد:

١. حرص عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا على حماية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والغيرة له، فهي ما ترددت أن ترد عليهم بأشد الرد.

٢. إرشاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأمته إلى خُلق الرفق حتى مع المخالفين، وأنه لا داعي إلى مجاوزة العدل في الرد، فقد قال: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»

٣. الاقتصار في رد التحية على أهل الكتاب بقول: «**وَعَلَيْكُمْ**»، كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

٤. أن الغيرة والحمية المحمودة قد توقع أحيانًا في شيء من التجاوز الغير محمود، وهنا يظهر فضل الحكمة النبوية في تهذيب النفوس وضبط المشاعر.

٥. بيان عظمة أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، إذ كان يواجه عداء اليهود بالرفق والعدل لا بالغضب ولا بالفحش.

تنبيه مهم ونصيحة للنساء في شأن الغيرة والتأسي بزوجات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك:

بعد ذكر ما وقع من غيرة أمهات المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ، ينبغي أن يُعلم أن تلك الغيرة ـ وإن وردت في سياق النصوص الصحيحة ـ لم تكن مما يُقتدى به في ذاتها، بل كانت أمورًا بشرية جُبلت عليها النساء، وضبطها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

بحلمه وحكمته، ولم يقل أحد من العلماء إنّ الغيرة التي بلغت في بعض المواقف حدّ الحدة أو الاندفاع تصلح أن تُتخذ قدوة أو حجة للنساء في بيوتهن، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يُقرّها بل كان يوجّهها ويربيها.

فعلى النساء أن يتأملن أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان سيد الصابرين، وأعظم الناس حلمًا وتغافلًا، وكان يُعامل تلك المواقف برفقٍ وتربيةٍ ورحمة، فلا يُعقل أن تتذرع امرأة اليوم بغيرتهن لتُبرر بها سوء خلقٍ أو تفريق أسرةٍ أو إثارة نزاعٍ مع زوجها، فليس في الدنيا من يطيق صبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا حلمه.

وإن من الحماقة أن تقول المرأة: "أنا أغار كما غارت نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ"، لأن نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كنّ في بيت النبوة وتحت رعاية الوحي، أما غيرهن فلا وحي يُقومهن ولا نبي يُرشدهن، فإن اتبعن الهوى باسم الغيرة أفسدن أكثر مما أصلحن.

الغيرة المحمودة هي التي تحفظ الكرامة وتصون العِرض دون أن تُثير الفتن، وأما الغيرة المذمومة فهي التي تُعمي البصر والبصيرة حتى تُفسد البيت وتزرع العداوة، فلتتقي اللهَ كلُّ امرأة، ولتعلم أن الغيرة لا تُقبل إلا إذا كانت مقرونة بالحكمة، مضبوطةً بشرع الله، وإلا صارت وسيلة لهدم الحياة الزوجية بدل أن تكون حصنًا لها.

باب الدياثة وخطرها في السنة

الدياثة داءٌ خبيث ينخر في جسد الأمة حتى يُميت غيرتها ويُفسد فطرتها، وهي من أخطر ما يهدد شرف المجتمعات المسلمة، لأنّها تمسّ أصل الدين الذي يقوم على الحياء والعفاف وصيانة الحرمات، وإذا انتشرت الدياثة في الناس ذهبت الغيرة من قلوب الرجال، وضاعت الأعراض، وتجرأت النساء على التبرج والاختلاط، وأصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا.

والدياثة ليست مجرد ضعف في الغيرة، بل هي انعدامها بالكلية حتى يرضى الرجل بالمنكر في بيته، ويسكت عن اختلاط نسائه بالرجال أو عن تبرجهن أو حديثهن المحرم، بل ربما شجع على ذلك، وهذا هو الهلاك بعينه، ولهذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يُقرّ الغيرة المحمودة، ويُحذّر من الدياثة التي تُميت الدين، حتى عدّها من الكبائر الموجبة للحرمان من الجنة.

وفي هذا الباب نذكر بعضا من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تُبيّن خطر هذا الخلق الذميم، وتُرغّب في حفظ العرض والغيرة على الأهل والدين، لتبقى الأمة عفيفةً مصونةً، كما أرادها الله تعالى.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالدَّيُّوثُ، وَرَجِلَةُ النِّسَاءِ» رواه الحاكم في المستدرك (٢٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٦٣).

هذا الحديث عظيم، فقد قرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الديوث والعاق ومدمن الكبائر، والديوث هو الذي لا يغار على أهله، فيرضى بالخبث ويقر المنكر في بيته، وحرمانه من الجنة دليل على أن ترك الغيرة كبيرة من الكبائر، فمن رضي بالخيانة هلك، والغيرة سياج للأمة، فإذا سقط ضاع الدين والأعراض.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى»**. رواه النسائي برقم: (٢٥٦٢)، وأحمد، برقم: (٦١٨٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٠٧١).

وفي رواية: قالوا: يا رسولَ الله! أما مُدمنُ الخمرِ فقدْ عرَفْناه، فما الدَّيُّوثُ؟ قال: **«الذي لا يُبالي مَنْ دَخلَ على أهْلِهِ»**، قلنا: فما الرجُلَةُ مِنَ النساءِ؟ قال: **«التي تَشَبَّهُ بالرجالِ»** رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (١٠٣١٠)، وصححه لغيره الإمام الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (٢٠٧١).

الحديث هنا فسر معنى الدياثة بأوضح بيان، فهي التساهل في اختلاط الرجال الأجانب بالنساء داخل البيت، فالمسلم الغيور يمنع مواطن الريبة ويحفظ حرمته، أما من تساهل فقد شارك في الفساد، ومقارنة الديوث بمدمن الخمر تؤكد أنه من كبائر الذنوب، والغيرة في حقيقتها حياة للقلب، فإذا انعدمت كان موتًا للضمير.

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ**

الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» البخاري، برقم: (٥٢)، مسلم، برقم: (١٥٩٩).

يدل الحديث على أن القلب هو الملك الذي تتبعه الجوارح، وصلاحه صلاح لها، وفساده فساد لها، والغيرة أثر من آثار صلاح القلب، فإذا امتلأ القلب إيمانًا صارت الغيرة فيه قوية صادقة، تحفظ الدين والعرض، أما إذا ضعف القلب أو مات زالت منه الغيرة، ورضي صاحبها بالمنكرات، فمن دلائل حياة القلب قوة الغيرة، ومن دلائل موته ضعفها أو فقدها.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» رواه البخاري، برقم: (٩)، مسلم، برقم: (٣٥).

الحديث يدل على أن الحياء جزء من الإيمان، وهو مرتبط بالغيرة ارتباطًا وثيقًا. فحيث يوجد الحياء توجد الغيرة، إذ كلاهما يمنع من القبائح والفواحش، وإذا ضعف الحياء ضعفت الغيرة تبعًا لذلك، وإذا فقد الحياء بالكلية ماتت الغيرة، وصار القلب خاليًا من نور الإيمان، فالحياء والغيرة علامتان واضحتان على حياة القلب.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**» رواه مسلم، برقم: (٢٧٤٢).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حذّر من فتنة النساء، لأنها أعظم فتنة على الرجال،

ومن لا يغار على قلبه من هذه الفتنة فقد هلك، فالتحذير هنا يتضمن أن الغيرة سياج للقلب الحي، تحفظه من الانجرار إلى المعاصي، أما من خلا قلبه من الغيرة فإنه يستسلم للفتنة ويهلك في شهواته، فالمؤمن يحيا قلبه بغيرته على نفسه وأهله ودينه.

وعن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري، برقم: (٣٤٨٣).

هذا الحديث قاعدة كبرى، فترك الحياء يفتح أبواب الشر، وإذا زال الحياء زالت الغيرة تبعًا له، والحياء يمنع القلب من التهاون بالمنكرات، والغيرة تزيده قوة في دفعها، فإذا اجتمع الحياء والغيرة عاش القلب حيًا، وإذا زالا مات القلب وانهدم الدين، فالحديث يقرر أن حياة القلب مرتبطة بالحياء والغيرة معًا.

بابُ الغَيْرَةِ على مَحَارِمِ اللهِ

الغيرةُ على محارمِ اللهِ هي ذروةُ الغيرةِ الإيمانية، إذ تدفعُ صاحبَها إلى نصرةِ شرعِ اللهِ وحمايةِ حدودِه من الانتهاك، وهي برهانُ حياةِ القلبِ وصدقِ المحبةِ لله تعالى.

فالمؤمنُ يغارُ أن تُعصى أوامرُ ربّه، كما يغارُ أن يُنتهَكَ عرضُه، بل غيرتُه لله أعظم، إذ هي منبعُ كلِّ غيرةٍ أخرى. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]، أي: إنَّ تعظيمَ أوامرِ الله ونواهيهِ والغيرةَ عليها دليلٌ على صفاءِ القلبِ وامتلائهِ تقوىً.

وقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذه الغيرةُ على حدودِ الله هي سببُ خيريةِ الأمة، ومن تركها خسر مجدَه وضيّع أمانته.

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» رواه مسلم، برقم: (٥٠).

وهذا الحديث أصلٌ في الغيرةِ على محارمِ الله، إذ يبيّن أن إنكار المنكر درجاتٌ

بحسب الإيمان، وأن الغيرةَ هي روحُ الجهادِ باليد واللسان والقلب، فمن فقدها لم يبقَ في قلبه من الإيمان شيء.

وعن حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**». رواه مسلم، برقم: (١٤٤).

فيه أن الغيرةَ على محارم الله علامةُ القلبِ الأبيضِ الحيّ، وأن فقدَها من أماراتِ القلبِ الأسودِ الميتِ الذي لا ينكر منكرًا، فغيابُ الغيرةِ موتٌ للضميرِ وذهابٌ لنورِ الإيمان.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» رواه مسلم، برقم: (٤٩).

فهذا الحديثُ يضع الغيرةَ العمليةَ في صلبِ الإيمان، إذ لم يجعلها نافلةً، بل رتّبها مراتبَ بحسب القدرة، فكلُّ مؤمنٍ مأمورٌ أن يغارَ لله على قدرِ طاقته، وإلا كان ضعيفَ الإيمان أو فاقدَه.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أَحَدَ**

أَغْيَرُ مِنَ اللهِّ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِّ، وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ» رواه البخاري، برقم: (٤٦٣٤)، ومسلم، برقم: (٢٧٦٠).

فإن الله غيورٌ على حدودِه، ومن أحبَّ اللهَ أحبَّ ما يحبُّه، وغارَ لما يغارُ له. فكلُّ من رآى محارمَ الله تُهتك فسكت، فقد خالف مقتضى العبودية.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]، فهذه الآية فيمن ضعفَت غيرتُه حتى رضي بنشرِ الفاحشة أو سكت عنها، فجعله الله شريكًا في الإثم، وأوعده بالعذاب الأليم.

فالغيرةُ على محارم الله ليست تشدّدًا ولا غلوًّا، بل هي دليلُ حياةِ الإيمان، ومظهرُ تعظيمِ الربّ الجليل، وهي التي تحفظ الدين والمجتمع من الانهيار، فإذا وجدت الأمة الغيورة، وُجد الدين عزيزًا والنساء مصوناتٍ والرجال كرامًا، وإذا ضعفت الغيرةُ ضاع كلُّ ذلك، وكان الهلاكُ العام.

بابُ الغَيْرَةِ على الدِّينِ والعَقِيدَةِ

الغيرةُ على الدِّين هي أشرفُ أنواعِ الغيرة وأعلاها، لأنّها تتعلقُ بحقِّ الله الخالص، وصيانةِ التوحيد من الشرك والبدعة والتحريف، وهي علامةُ صدقِ الإيمان وكمالِ المحبة لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فمن لم يغْرْ على دين الله عند انتهاكِ حرماته أو تبديلِ أحكامه، فليس في قلبه نصيبٌ من تعظيم الله، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، أي: من صانَ حدودَ الله غيرةً عليهِ وإجلالًا له، أثابه الله وأكرمه، وجعلَ له الخير في الدنيا والآخرة.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ففيها غيرةُ المؤمنِ على عقيدتِه، إذ لا يجتمع حبُّ الله مع مودةِ من يعاديه، فالغيرةُ على الدين تقتضي البراءةَ من أهل الكفر والنفاق، والموالاةَ للمؤمنين المخلصين.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم، برقم: (٤٩).

وهذا يشمل كل منكرٍ في باب العقيدة والدين، فمن رأى شركًا أو بدعةً أو تمييعًا للحق وجب أن يغار لله، فإن سكتَ فقد أضعف الإيمان، وإن رضي فقد خان الدين.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». رواه البخاري، برقم: (١٠٠)، ومسلم، برقم: (٢٦٧٣).

وهذا الحديث أصلٌ في الغيرة على الدين من التحريف والجهل، إذ الواجب على الغيور أن يحفظَ ميراث النبوة ويذود عنه من تحريف الجهال وتأويل الغالين، فالمؤمن يغار على عقيدة الأمة كما يغار على عرضه.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» رواه مسلم، برقم: (١٩٢٠)، وروى البخاري، برقم: (٧٣١١) نحوه عن المغيرة بن شعبة.

فيه أن الغيرةَ على الدين تورث الثبات على الحق والنجاة من الفتن، فهؤلاء أهلُ الغيرة الإيمانية الذين لا يرضون بالتحريف ولا بالبدعة، بل يذبّون عن حياض التوحيد والسنّة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». رواه مسلم، برقم: (١٤٥).

فطوبى لمن غار على دين الله في زمان الغربة، حين تُهدرُ الأحكام وتُزيَّف القيم ويُستحيا من السنّة، إنّ الغيرة على الدين ليست تشددًا، بل هي وفاءٌ للحقّ

وتمسكٌ بما أوصى به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الصبر والثبات على السنة.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ففيها غيرةُ الله على دينه الحق، إذ لا يرضى لعباده دينًا سواه، فمن غار لله أحبّ هذا الدين وذبّ عنه وحارب الباطلَ كلَّه.

وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، فمن غيرته على دين الله نصره بالحجة والدعوة والجهاد، فنصرَه الله بالعزّ والتمكين.

فالمؤمنُ يغارُ على التوحيد أن يُبدّل، وعلى السنّة أن تُطفأ، وعلى الحق أن يُغلب، والغيرةُ على الدين فريضةٌ ترفعُ صاحبَها إلى مراتب المجاهدين، لأنها جهادٌ بالقلب واللسان، وذبٌّ عن حياض العقيدة، فإذا ضاعت الغيرة ضاع الدين، وإذا بقيت عاشت الأمة شامخة لا تنحني إلا لله.

والخلاصة: أن الغيرة إن لم تكن لله ولدينه فهي لا شيء.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٤٣٧ ط عطاءات العلم): وملاك الغيرة وأعلاها ثلاثةُ أنواع: غيرةُ العبد لربِّه أن تُنْتهك محارمُهُ، وتُضيَّع حدودُه، وغيرتُه على قلبه أن يسكن إلى غيره، وأن يأْنس بسواه، وغيرتُه على حُرْمتِهِ أن يتطلَّع إليها غيره، فالغيرةُ التي يحبُّها الله ورسولُه دارت على هذه الأنواع الثلاثة، وما عداها فإما من خُدَع الشيطان، وإما بلوى من الله، كغيرة المرأة على زوجها أن يتزوَّج عليها. اهـ

بابُ الغَيْرَةِ على الأَعْرَاضِ

الغيرةُ على الأعراضِ ركيزةٌ من ركائزِ الإيمان، وهي من دلائلِ المروءةِ والنبل، إذ بها تُصانُ الحرماتُ وتُحفظُ البيوتُ من الفتنة والعار، فمن لم يغَرْ على أهله فقد نزعت منه خصلةُ الرجولة والإيمان، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، فأمر الله بحفظِ الفروجِ وغضّ البصر، وهذا أصلُ الغيرة الشرعية، إذ لا يصون العرضَ إلا قلبٌ غيورٌ يرى أن انتهاك الحرماتِ جريمةٌ في حق الله قبل أن تكون في حق البشر.

وقال تعالى بعده: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، فشرع الله الحجابَ وغضَّ البصر صيانةً للأعراض، وغرسًا للغيرة في النفوس، لأن الغيرةَ هي الحارسُ الخفيُّ للعفّة.

وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» رواه البخاري، برقم: (٧٤١٦)، ومسلم، برقم: (١٤٩٩).

هذا الحديث أصلٌ في باب الغيرة على الأعراض، إذ جعل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ غيرةَ سعدٍ ممدوحةً، وأثبت أن الله جَلَّ وَعَلَا يغارُ على حرماته،

فحرّم الفواحشَ صيانةً للأعراض، فالمؤمن يغار لله وفي الله، لا غيرةَ شكٍّ أو ريبةٍ، بل غيرةُ تعظيمٍ لأوامرِ الله.

عن جابر بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ». رواه أبو داود، برقم: (٢٦٥٩)، والنسائي، برقم: (٢٥٥٨)، وأحمد، برقم: (٢٣٧٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

وفي هذا الحديث ميزانُ الاعتدال في الغيرة على الأعراض، فالمحمودةُ منها ما كان في موضعها وبالعدل تحفظُ الشرف ولا تظلم، والمذمومةُ ما تجاوزت الحق فصارت وسوسةً وظنًّا باطلًا.

وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» رواه الترمذي، برقم: (١٤٢١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

فهذا دليلٌ واضح على أن الدفاعَ عن العرضِ غيرةً لله يرفعُ العبدَ إلى منزلة الشهداء، لأن من دافع عن حرمته فقد دافع عن شرف الأمة.

وقال الله تعالى في قصة الإفك: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، فدلّ على أن الغيرةَ يجب أن تكون مقترنةً بحسن الظن، وأن المؤمنَ لا يتسرع في اتهامِ المحصنات، بل يغارُ بصدقٍ وعدل، لا بظلمٍ وبهتان.

وفي حديث أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري، برقم: (٣٤٨٣).

فإذا ذهب الحياء ذهبت الغيرة، وإذا انعدمت الغيرة انكشف سترُ الله، وصار الفسادُ ظاهرًا في الطرق والبيوت، ولهذا كانت الغيرةُ قرينةَ الحياء والإيمان.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ» رواه الحاكم، برقم: (٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (٣٢٠٠)، فحيثما وُجد الإيمانُ وُجدت الغيرة، وحيثما ضعفَ الإيمانُ ضعفت الغيرة، فصارت النفوسُ رخيصةً أمام الشهوات.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ». رواه البخاري، برقم: (٦٠٦٩)، ومسلم، برقم: (٢٩٩٠).

فالمجاهرةُ بالمنكرات سببٌ لذهاب الغيرة من القلوب، إذ يُرفع الحياء ويُستمرأ الفجور، ولا تبقى حُرمةٌ للعرض.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٦٦)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن عقوبات الذنوب: أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب

والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس، ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أغير الخلق على الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه، كما ثبت في الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي**». اهـ

فالغيرةُ على الأعراضِ عبادةٌ قلبيةٌ عظيمة، تحفظ الدين والمجتمع، وتمنع الفاحشة قبل وقوعها، وهي درعُ الشرف وسياجُ الأمة، وإذا ماتت الغيرةُ، عَمَّ الفسادُ، وضاعت الأسرُ، وتحوّل الناس إلى أجسادٍ بلا كرامةٍ ولا إيمان، فنسأل الله أن يحيي في قلوبنا الغيرةَ على ديننا وأعراضنا، وأن يجعلها عنوانَ عفتنا وصدقنا.

باب الغيرة المحمودة والغيرة المذمومة

الغيرة شعور فطري أودعه الله في النفس البشرية، لكنها كسائر الأخلاق تُمدح إذا وُضعت في موضعها، وتُذم إذا جاوزت حدّها، فالمحمودة منها ما كانت لله، تحفظ الدين والعرض، والمذمومة ما كانت نابعة من شكٍّ أو هوى أو وسوسةٍ تُكدّر الصفو وتُفرّق بين القلوب.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فهذه الآية تؤصّل أن الغيرة إذا تجاوزت العدل، وصارت اتهامًا بغير بينة، انقلبت إلى ظلم وبهتان، فصارت مذمومة شرعًا.

وفي حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ». رواه أبو داود، برقم: (٢٦٥٩) عن جابر بن عتيك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قسّم الغيرة قسمين واضحين: غيرة يرضاها الله، وهي أن يغار المسلم حين يرى سببًا يدعو للريبة، كاختلاطٍ مشبوهٍ أو تهاونٍ في سترٍ أو خلوةٍ بغير محرم، وغيرةٌ مذمومةٌ تكون في غير ريبة، كاتهامٍ بلا دليل أو شكٍّ في الصالحات.

فالمؤمن يغار بحكمةٍ ورحمة، لا بعجلةٍ ولا سوء ظنٍّ.

فالغيرة المحمودة هي التي تحفظ حدود الله وتُصان بها الحرمات، وتبقى في دائرة العدل والرحمة، وتكون هذه الغيرة مضبوطة بضوابط الشريعة، ولا يوفتأت على السلطان، ولا يرجع إلى القضاء، لأن الفتنة ستكون من ورائها.

وأما المذمومة فهي التي تجرّ إلى الشك والاتهام وسوء الظن وتُفسد القلوب والبيوت، فمن ضبط غيرته بالعلم والشرع عاش مطمئنًّا غيورًا على دينه وأهله، ومن تجاوز الحد صار ظلومًا مُريبًا، يهدم بثورته ما بناه بحبه.

ومن أنواع الغيرة ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الاستقامة (٢/ ٢٧): وَمِمَّا يشبه هَذَا مَا ذكره لَهُ مرّة بعد أصحابنا الْفُقَرَاء، وَفِيه خير وَدين وَمَعْرِفَة انه كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَقَامَ آخر يُصَلِّي، قَالَ: فَأَخَذَتْنِي الْغيرَة فَقلت لَهُ: هَذَا حسد وضيق عطن وظلم لَيْسَ بِغَيْرِهِ إنما لغيره إذا انتهكت محارم الله، وَالله تَعَالَى وَاسع عليم، يسع عباده الأولين والأخرين، وَهُوَ يحب ذَلِك وَيَأْمُر بِهِ، وَيَدْعُو إليه فَكيف يبغض الْمُؤمن مَا يُحِبهُ، وَهَذَا الْقدر وَاقع كثير من أرباب الأحوال حَتَّى يقتل بَعضهم بَعْضًا، ويعتدى بَعضهم على بعض يُؤْذى بَعضهم بَعْضًا، وَيَقُولُونَ هَذَا غيرَة على الْحق، وإنما هُوَ تعدِي لحدوده، وظلم لِعِبَادِهِ، وَصد عَن سَبيله، وتمثيل فِيهِ للحق تَعَالَى بِالْمَرْأَةِ أَوْ الأمرد الَّذِي يتغاير عَلَيْهِم الْفُسَّاق لضيق الْمحل غير الإشراك وَاصل ذَلِك من طلب الْفساد، والعلو فِي الأرض، وَطلب الِانْفِرَاد بالتأله لَا لأجل الله، لَكِن لأجل الاستعلاء فِي الأرض، فَهُوَ من الْكبر والحسد من جنس ذَنْب إبليس وَفرْعَوْن، وأخي ابْن آدم لَا من أعمال عوام الْخلق فضلا عَن مؤمنيهم فضلا

عَن أولياء الله الْمُتَّقِينَ، وَلِهَذَا نجد أمثال هَؤُلَاءِ من أقل النَّاس غيرَة إذا انتهكت محارم الله، وَيكون الْمُؤمِنُونَ مِنْهُم فِي تَعب، وَالْمُشْرِكُونَ مِنْهُم فِي رَاحَة. اهـ

باب الغيرة وعلاقتها بالمروءة والشرف

الغيرة قرينة المروءة، وعنوان الشرف، فلا يُتصوّر رجل كريم بلا غيرة، كما لا يُتصوّر قلب حيّ بلا حياء، فالمروءة خلق يجمع مكارم الأخلاق، والغيرة روحها وسرّها؛ تحفظ العرض، وتصون الحرم، وتمنع من الدنايا والخيانة، فإذا ذهبت الغيرة ذهب الحياء، وسقطت المروءة، وتهاوى الشرف.

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠]، فالغيرة من تزكية النفس، إذ تحمل صاحبها على ترك الخبائث وصيانة المحارم، ومن دساها ورضي بالدنايا فَقَدْ فقَدَ المروءة التي هي زينة المؤمن.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ» رواه مسلم، برقم: (٢٧٦١)، فجمع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الإيمان والغيرة، إشارةً إلى أن الغيرة من كمال المروءة الدينية، وأنها مقياس الرجولة الحقة، لا بالعضلات ولا بالجاه، ولكن بحفظ الأعراض وصون البيوت.

فالمروءة الحقة أن يكون الرجل درعًا لأهله، يردّ عنهم الريبة، ويحميهم من مواطن الفتنة، لا يسلّمهم لذئاب الشهوات، ولا يرضى أن يُؤذوا بكلمةٍ أو نظرة.

وقد كان العرب في الجاهلية يفاخرون بالمروءة والغيرة، فلما جاء الإسلام زكّاها ووجّهها، فصارت عبادةً يقصد بها وجه الله، لا مجرد حميّةٍ جاهلية.

ومن دلائل الشرف أن يكون الرجل غيورًا على نسائه دون تعدٍّ أو ظلم، فعن

أبي أذينة الصدفي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ، إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ». رواه البيهقي في السنن، برقم: (١٣٤٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: (١٨٤٩). فمدح صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ المرأة الصالحة التي تحفظ شرفها وزوجها، وهي شريكة الرجل الغيور في المروءة والطهر.

والمروءة لا تقتصر على الغيرة على النساء فقط، بل تشمل الغيرة على الدين والعرض والزمان والمكان، فالذي يرى المنكرات ويسكت، قد فقد شرف الغيرة، كما قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [المائدة: ٧٩]، فذمّهم الله لضعف غيرتهم.

فالغيرة هي رداء المروءة، والمروءة سياج الشرف، ومن خلع أحدهما انكشفت سوأته في الدنيا قبل الآخرة، وهي خُلقٌ يُولد مع الكرام، ويقوى بالإيمان، ويضعف مع الشهوات، فمن أراد أن يبقى كريمًا في الدنيا مرفوع القدر في الآخرة، فليغرس الغيرة في قلبه، فهي علامة الصادقين وأهل الشرف من المؤمنين.

ومن أنواع الغيرة المذمومة ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٢٠ ط عطاءات العلم): والغيرة أيضًا نوعان: غيرة العبد من نفسه على نفسه لنفسه، كغيرته من نفسه على قلبه، ومن تفرقته على جمعيّته، ومن إعراضه على إقباله، ومن صيانته على ابتذاله، ومن صفاته المذمومة على صفاته الممدوحة.

وهذه الغيرة خاصِّيّة النّفس الشّريفة الزّكيّة العُلْويّة، وما للنّفس الدّنيّة المَهِينة فيها نصيبٌ، وعلى قدر شرفِ النّفس وعلوِّ همّتها تكون هذه الغيرة.

ثمّ الغيرة أيضًا نوعان: غيرة الحقِّ تعالى على عبده، وغيرة العبد لربِّه لا عليه.

فأمّا غيرة الرّبِّ على عبده: فهي أن لا يجعله للخلق [عبدًا]، بل يتّخذه لنفسه عبدًا، فلا يجعل له فيه شُركاء متشاكسينَ، بل يُفرِده لنفسه، ويَضَنُّ به على غيره. وهذه أعلى الغيرتين.

وغيرة العبد لربِّه نوعان أيضًا: غيرةٌ من نفسه، وغيرةٌ من غيره. فالّتي من نفسه: أن لا يجعل شيئًا من أعماله وأقواله وأحواله ولا أوقاته وأنفاسه لغير ربِّه. والّتي من غيره: أن يغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون، ولحقوقه إذا تهاونَ بها المتهاونون.

وأمّا الغيرة على الله: فأعظمُ الجهل وأبطلُ الباطل، وصاحبها من أعظم النّاس جهلًا، وربّما أدَّتْ بصاحبها إلى معاداته لربّه وهو لا يشعر، وإلى انسلاخه من أصل الدِّين والإسلام. وربّما كان صاحبها شرًّا على السّالكين إلى الله من قُطَّاع الطّريق، بل هو من قُطّاع طريق السّالكين حقيقةً، وأخرج قَطْع الطّريق في قالب الغيرة، وأين هذا من الغيرة لله التي تُوجب تعظيمَ حقوقه، وتصفيةَ أعماله وأحواله؟ فالعارف يَغار لله، والجاهل يَغار على الله، فلا يقال: أنا أَغارُ على الله، ولكن أنا أَغار لله.

وغيرة العبد من نفسه: أهمُّ من غيرته من غيره، فإنّك إذا غِرْتَ من نفسك

صحَّتْ لك غيرتك لله من غيرك، وإذا غِرْتَ له من غيرك ولم تَغَرْ من نفسِك فالغيرة مدخولةٌ معلولةٌ ولا بدَّ. فتأمّلْها وحَقِّق النّظرَ فيها.

فليتأمّل السّالك اللّبيب هذه الكلمات في هذا المقام، الذي زلَّتْ فيه أقدام كثيرٍ من السّالكين، والله الهادي الموفِّق المثبِّت كما حكي عن واحدٍ أنّه قال: لا أستريح حتّى لا أرى من يذكر الله، يعني غيرةً عليه من أهل الغفلة وذكرِهم.

والعجب أنّ هذا يُعَدُّ من مناقبه ومحاسنه، وغاية هذا: أن يُعذَر فيه لكونه مغلوبًا على عقله، وهو من أقبح الشّطحات، وذِكرُ الله على الغفلة وعلى كلِّ حالٍ خيرٌ من نسيانه بالكلِّيّة، والألسُن متى تركتْ ذكر الله الذي هو محبوبه اشتغلتْ بذكر ما يُبغِضه ويَمْقُت عليه، فأيُّ راحةٍ للعارف في هذا؟ وهل هو إلّا أشقُّ شيءٍ عليه وأكرهه إليه؟

وقولُ آخر: لا أحبُّ أن أرى الله ولا أنظر إليه، فقيل له: كيف؟ قال: غيرةً عليه من نظرٍ إليه فانظر إلى هذه الغيرة القبيحة، الدّالّة على جَهْل صاحبها، مع أنّه في خَفارة ذلّه وتواضعه وانكساره واحتقاره لنفسه.

ومن هذا ما يُحكى عن الشِّبليِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنّه لمّا مات ابنه دخلَ الحمّام ونوَّرَ لحيتَه، حتّى أذهب شَعرَها كلّه، فكلُّ من أتاه معزِّيًا قال: أيشٍ هذا يا أبا بكرٍ؟ قال: وافقتُ أهلي في قَطْع شعورهم، فقال له بعض أصحابه: أخبرني لمَ فعلتَ هذا؟ فقال: علمتُ أنّهم يُعزّونني على الغفلة، ويقولون: آجَرَك الله، ففديتُ ذِكرَهم لله بالغفلة بلحيتي.

فانظُرْ إلى هذه الغيرة المحرّمة القبيحة التي تضمّنتْ أنواعًا من المحرّمات: حلق الشَّعر عند المصيبة، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَقَ، وَسَلَقَ، وَخَرَقَ» [رواه النسائي، برقم: (١٨٦٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي]. أي: حلق شعرَه، ورفع صوتَه بالنّدب والنِّياحة، وخرقَ ثيابه.

ومنها: حلق اللِّحية، وقد أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بإعفائها وتوفيرها.

ومنها: منعُ إخوانه من تعزيته ونيلِ ثوابها.

ومنها: كراهيته لجريان ذكرِ اسمِ الله على ألسنتهم بالغفلة، وذلك خيرٌ بلا شكٍّ من ترْكِ ذكره فغايةُ صاحب هذا: أن يُغفَر له هذه الذُّنوب ويُعفى عنه، وأمّا أن يُعَدّ ذلك في مناقبه وفي الغيرة المحمودة فسبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ.

ومن هذا: ما ذُكِر عن أبي الحسين النُّوريِّ: أنّه سمع رجلًا يُؤذِّن، فقال: طعنةً وسمَّ الموتِ، وسمع كلبًا ينبحُ، فقال: لبّيكَ وسعديكَ، فقالوا له: هذا تركٌ للدِّين، وصدقوا والله، يقول للمؤذِّن في تشهُّده: طعنةً وسمَّ الموتِ، ويُلبِّي نُباحَ الكلب؟!

فقال: أمّا ذاك فكان يذكر الله عن رأس الغفلة، وأمّا الكلب فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فيالله! ماذا ترى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُواجه به هذا القائلَ لو رآه يقول ذلك، أو عمر بن الخطّاب، أو مَن عدّ ذلك في المناقب والمحاسن؟!

وسمع الشِّبليُّ رجلًا يقول: جلَّ الله، فقال: أحبُّ أن تُجِلَّه عن هذا.

وأَذَّن مرّةً، فلمّا بلغَ الشّهادتين فقال: لو لا أنّك أمرتَني ما ذكرتُ معك غيرَك.

وقال بعض الجُهَّال من القوم: لا إله إلّا الله من أصل القلب، ومحمّدٌ رسول الله من القُرْط، ونحن نقول: محمّدٌ رسول الله من تمام قول: لا إله إلّا الله، فالكلمتان يخرجان من أصل القلب من مشكاةٍ واحدةٍ، لا تتمُّ إحداهما إلّا بالأخرى. اهـ

باب الغيرة في الجاهلية والإسلام

وقد كانت هذه السجية ظاهرة عند العرب حتى في جاهليتهم؛ فكانوا يرون الغيرة من شيم المروءة، ويتفاخرون بها في أشعارهم، ويعدّون فقدانها خسةً وذلًّا.

وجاء في أشعارهم ما يدل على شدّة اعتنائهم بها، قال **عنترة بن شداد**:

وأغضُّ طرفي ما بدَت لي جـارتي   حتـى يـواري جـارتي مأواهـا

ومعناه:

وأغضُّ طرفي ما بدَت لي جـارتي   ....

أي: أُخفض بصري ولا أنظر إلى جارتي إذا خرجت أو ظهرت، محافظةً على حرمتها وستْرًا لها.

....   حتـى يـواري جـارتي مأواهـا

أي: حتى تدخل بيتها وتغيب عن الأنظار، فلا يُرى لها ظلّ ولا يُسمع لها صوت، من كمال أدبه وحياءه.

فهو يفتخر أن غيرته ليست مقصورة على نسائه فقط، بل تمتد إلى جاراته وبنات قومه، فلا يرضى أن تمتد عينُه إلى ما لا يحلّ، صونًا للمروءة وحفظًا للعِرض.

وفي هذا البيت شاهد بليغ على شدة اعتناء العرب بالغيرة، حتى جعلوها مقياس الرجولة والشرف.

وقال أبو تمام:

لا خيرَ فيمن لا يغارُ على الحِمى ويمسك عن داعي المروءة ألسُنا

المعنى:

لا خيرَ فيمن لا يغارُ على الحِمى ....

أي: لا خير في رجلٍ لا تتحرك غيرته إذا انتُهك حِمى عرضه أو حِمى قومه، فعديم الغيرة لا يُعدّ من أهل الشرف والكرامة.

.... ويمسك عن داعي المروءة ألسُنا

أي: ولا خير فيمن يترك القول بالحق، ولا يدافع عن المروءة والشرف، فيسكت حين يجب أن يتكلم ويذبّ عن الحرمات.

فالمعنى العام: أن الغيرة والمروءة قرينتان لا يفترقان؛ فمن فقد الغيرة سقطت مروءته، ومن سكت عن الدفاع عن الأعراض والفضائل فلا خير فيه.

وقال بعضهم:

أَيْقَنْتُ أَنِّي ذُو حِفَاظٍ مَاجِدٌ مِنْ سِرِّ أَمْلاكٍ ذَوِي أَتْوَاجِ

مِمَّنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيظَةً إِذْا لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الأَزْوَاجِ

ومعناه بإيجاز كالتالي:

أَيْقَنْتُ أَنِّي ذُو حِفَاظٍ مَاجِدٌ ....

أي: تيقّنت أني رجلٌ صاحبُ عِفّةٍ وكرمٍ وشرفٍ، أحفظ نفسي وأهلي، وأصون العرض.

.... مِـــنْ سِرِّ أَمْـــلاكٍ ذَوِي أَتْـــوَاجِ

أي: من نسل ملوكٍ أصحاب تيجانٍ ومهابةٍ، فهو يفتخر بأصله الشريف الكريم.

مِمَّـنْ يَغَـارُ عَـلَى النِّسَـاءِ حَفِيظَـةً ....

أي: أنا من قومٍ جبلوا على الغيرة الصادقة على نسائهم، غيرةً نابعةً من الحياء والمروءة.

.... إِذْ لا يَـــثِقْنَ بِغَـــيْرَةِ الأَزْوَاجِ

أي: لأن النساء لا يطمئنن ولا يأمنَّ إلا إلى رجلٍ غيورٍ يحفظهن ويغار عليهن، فإن لم يرَيْ في أزواجهن غيرةً صادقة، لم يثقن بحبّهم ولا بأمانهم.

فالمعنى الإجمالي: يقول الشاعر: أنا رجل كريم الأصل، أصون نفسي وأهلي، وأرث الغيرة من آباءٍ أشرافٍ ملوك، والنساء لا يطمئنن إلا لمن غار عليهن غيرة صادقة تحفظ شرفهن.

لقد كانت الغيرة عند العرب في الجاهلية خُلُقًا فطريًّا متجذرًا في طباعهم، بها يحفظون الأنساب، ويحمون الحُرَم، ويعدّون التهاون فيها من أقبح العيوب، حتى إن الرجل منهم كان يفتخر بغيرته ويعدّها دليل شرفه ورجولته لكن غيرة الجاهلية كانت في كثيرٍ من الأحيان مشوبة بالعصبية والغلو، حتى أوقعتهم في

القتل وسفك الدماء لأوهى الأسباب، فكانت غيرةً ممزوجة بالحمية لا بالشرع، وبالكِبر لا بالحكمة، فجاء الإسلام ليهذّبها ويزكّيها، فحوّلها من غيرةٍ جاهلية إلى غيرةٍ إيمانية، تضبطها التقوى وتوجّهها لنصرة الحق، لا لهوى النفس.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، فبيّن أن الغيرة المحمودة هي التي تُساق في طريق البر والتقوى، لا التي تُلهبها العصبية.

وقد جاء في الحديث المتقدم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ». رواه أبو داود، برقم: (٢٦٥٩)، وغيره، عن جابر بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

فبهذا التوجيه النبوي وُضعت الغيرة في ميزان الاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، ولا جاهلية ولا تهاون.

وفي الجاهلية كان بعض الرجال يدفنون البنات أحياء غيرةً زائفة، يظنونها صيانة للشرف، فجاء الإسلام فنهى عن ذلك أشد النهي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨-٩]، فغيّر الإسلام مفهوم الغيرة من حميةٍ ظالمة إلى خلقٍ رحيمٍ يقوم على العدل والعفة والرحمة.

وكان من كمال هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه جمع بين الغيرة والرفق، فغيرته على الدين كانت لله وحده، لا لنفسه، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَمَا انْتَقَمَ

رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ **لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا»** رواه البخاري، برقم: (٣٥٦٠)، ومسلم، برقم: (٢٣٢٧).

فكانت غيرته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أصفى الغيرة وأكملها، إذ لم تخرجه عن العدل ولا الرفق.

وهكذا صارت الغيرة في الإسلام خلقًا موزونًا، تحيا به القلوب وتستقيم به المجتمعات، تحفظ الحرمات وتصون الأعراض، وتردع النفوس عن الخيانة، بخلاف غيرة الجاهلية التي كانت فوضى وعصبية، فشتّان بين غيرةٍ تُغضب الله، وغيرةٍ تُرضيه، وبين حميّةٍ جاهلية تُزهق الأرواح، وغيرةٍ شرعية تُحيي القلوب وتبني الأمم.

باب الغيرة في واقع الأمة اليوم

لقد كانت الغيرة في الأمة الإسلامية سمةً ظاهرة وعلامةً مميزة، تعرف بها المجتمعات المسلمة في ملبسها وسلوكها وعلاقاتها، إذ كانت الغيرة على الدين والعرض من أصول المروءة والإيمان، أما في واقعنا اليوم، فقد ضعف هذا الخلق في كثير من البيوت، وبه ضعف الحياء، وقلّ الورع، وتجرأ الناس على حدود الله، فانتشرت الفواحش علنًا، وتزين المنكر، وتراجع المعروف.

لقد غُزيت القلوب قبل الأجساد، وتسلل إلى الناس فكرٌ غربيّ دخيل يزعم أن الغيرة تقييد للحرية، ورجعيةٌ، تنافي التطور، حتى صار من يغار على أهله أو على دينه يُتهم بالتشدد أو التخلف، مع أن الغيرة في الإسلام كرامةٌ وشرف، وهي من صفات الله جَلَّ وَعَلَا كما تقدم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَغارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ» رواه البخاري، برقم: (٥٢٢٣)، ومسلم، برقم: (٢٧٦١).

فكيف يزهد فيها من ينتسب إلى الإسلام؟

ولقد كان فقدان الغيرة أول خطوة نحو فساد المجتمعات، فحين يضعف الحياء، وتتساهل المرأة في حجابها، والرجل في مسؤوليته، ويُعرض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تُرفع الحماية عن الأعراض وتُهان الفضيلة، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

﴿خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾ [النور:٣٠].

فإذا غاب هذا الأدب العظيم، لم تبقَ غيرةٌ ولا صيانة.

وفي المقابل، من بقيت في قلبه الغيرة على محارم الله، فهو غيورٌ لله في زمان الفتنة، يغار على دينه من التحريف، وعلى بيته من الانحراف، وعلى مجتمعه من الفساد، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم، برقم: (٤٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، فدلالة الحديث أن الغيرة على حدود الله من أصول الإيمان، وأن انعدامها علامة خذلان القلب.

ومن صور ضعف الغيرة في زماننا:

- تهاون بعض الرجال في اختلاط نسائهم بالرجال الأجانب في العمل والدراسة والمناسبات، مع أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» رواه البخاري، برقم: (٥٠٩٦)، ومسلم، برقم: (٢٧٤٠). عن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.
- إظهار النساء لزينةٍ أمر الله بسترها، فيُعجبن الناس بمعاصي الله، ثم يزعم بعضهم أن ذلك من التحضر!.
- سكوت الآباء والأزواج عن المنكر في بيوتهم بحجة الثقة، حتى فُتح باب الشياطين في الأجهزة والشاشات.
- تساهل الشباب في النظر والمحادثات المحرمة، حتى صارت الغيرة تُذكر

استغرابًا لا مدحًا.

وما هذا إلا من موت القلوب، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ». رواه ابن ماجه، برقم: (٨٨) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

أي: أن القلوب تتقلب إن لم تُثبتها الغيرة والحياء، وفي المقابل ما أحسن حال من بقيت في قلبه شعلة الغيرة! فترى الرجل يغض بصره عن الحرام، ويأمر أهله بالحجاب، ويغار على بناته أن يُفتنَّ، ويغار على شباب أمته من الانحراف، فتتحرك في نفسه غيرةٌ لله أن يُعصى في أرضه، وتراه يدافع عن الدين بكل وسيلة، ويرد الشبهات عن الحجاب والعفاف وغير ذلك، نصرةً لله ولدينه.

ولإحياء الغيرة في الأمة لا بد من ثلاث ركائز:

- **تربية القلب على مراقبة الله**، فكلما ازداد المؤمن يقينًا بأن الله يراه، زادت غيرته على محارمه.
- **العناية بالتربية الأسرية**، بتعليم الأبناء والبنات معنى الحياء والعفة من الصغر، ليشبّوا على الفطرة السليمة.
- **إحياء الخطاب الدعوي والإعلامي في هذا الباب**، بإظهار أن الغيرة ليست تشددًا، بل هي صمام الأمان لحفظ الدين والعرض والمجتمع.

إن الغيرة التي يُراد بعثها اليوم ليست غيرة غضبٍ أعمى، بل غيرة عقلٍ وإيمان، تحفظ ما أوجب الله وتمنع ما حرّم، وتجمع بين القوة في الحق والرحمة في

الإصلاح، وإن مما يدمي القلب أنه قد أصبح ضعف الغيرة في هذا الزمان من أبرز مظاهر الانحراف الأخلاقي، ويظهر ذلك في عدة صور:

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**». البخاري، برقم: (٧٣٢٠)، مسلم، برقم: (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وهذا الحديث يفسر حال الناس اليوم، حيث قلّدوا الكفار في التبرج والاختلاط، حتى ضعفت الغيرة أو انعدمت، فغياب الغيرة من أعظم مظاهر اتباع سنن الكفار، وهو علامة على موت القلوب وانحراف المجتمعات.

باب أمثلة واقعية على ضعف الغيرة في زمننا

من صور ضعف الغيرة التي ابتلي بها كثير من الناس اليوم:

- **التساهل في التبرج والسفور**: حيث تخرج المرأة متعطرة متزينة، كاشفة عن زينتها، أمام الأجانب، وزوجها أو وليها لا ينكر عليها، بل ربما تفاخر بجمالها، وهذا من أعظم صور الدياثة التي حذّر منها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.
- **الاختلاط المحرم في المدارس والجامعات والعمل**: حتى صار من العيب عند بعضهم أن يُوصف الرجل بالغيرة إذا منع أهله من هذه المواطن، بينما كان السلف يعدّون الغيرة شرفًا، ويعدّون تركها خيانة لله ورسوله.
- **إدخال الأجهزة الحديثة بلا رقابة**: فترى بعض الآباء يضع لابنه أو ابنته الهاتف المليء بالفتن، أو الحاسوب المتصل بالشبكة، حتى وقعت الفواحش في البيوت. وهذه صورة من الدياثة العصرية.
- **الإعجاب الأعمى بالكفار**: حتى صار بعضهم يقلّد الكفار في طريقة حياتهم، وملابسهم، واختلاطهم، وحفلاتهم، ويرى أن الغيرة نوع من التخلف والرجعية، كل هذه المظاهر تؤكد أن الغيرة صارت في كثير من النفوس غريبة، بينما كانت عند السلف ميزانًا للإيمان والرجولة.

فاللهم أحيِ في قلوبنا غيرتك على دينك، واملأ بيوت المسلمين عفةً وحياءً، واجعل الغيرة فينا سلاحًا يحمي الفضيلة في زمن الانفتاح والابتلاء.

باب الغيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم، برقم: (٤٩).

وهذا الحديث أصل في أن الغيرة على محارم الله هي الدافع الحقيقي للإنكار، إذ لا يحمل المؤمن على التغيير باليد أو اللسان أو القلب إلا امتلاء قلبه غيرةً لله، وحرصًا على صيانة حدوده، فالغيرة هنا تتحول من شعور قلبي إلى عمل إصلاحي يردع الباطل، ويُقيم المعروف، ويجعل المجتمع متماسكًا أمام موجات الفساد، كما يُفهم منه أن ضعف الغيرة هو الذي يفضي إلى الرضا بالمنكر أو السكوت عنه، ولذلك جعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أضعف الإيمان.

وورد عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا».
رواه البخاري، برقم: (٢٤٩٣).

فهذا المثل النبوي يبين أن ترك الغيرة على حدود الله والسكوت عن المنكر يجرّ الهلاك العام، وأن الغيرة التي تدفع إلى الإنكار والردع هي صمام النجاة، ووجه

الشبه أن أولئك الذين أرادوا الخرق لم يشعروا بخطر فعلهم إلا حين قام من فوقهم بالغيرة على السفينة ومنعهم، فنجوا جميعًا.

الغيرة في هذا الباب هي غيرة لله تعالى، لا تتعلق بشخص أو مصلحة دنيوية، بل بدافع تعظيم الحرمات الشرعية، وإقامة الدين بين الناس.

باب الغيرة على أوقات العبادة والطاعات

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ» رواه البخاري، برقم: (٦٤١٢).

هذا الحديث أصل في الغيرة على الوقت، فإن الغبْن أن يضيع العبد صحته وفراغه في اللهو والبطالة، بينما يستطيع أن يعمرها بالعبادة والطاعة، فالمؤمن يغار على نفسه أن يسبق إلى الخيرات ثم يُحرم الأجر بسبب التواني والتفريط.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٢٨ ط عطاءات العلم): والوقت عند العابد: هو وقت العبادة والأوراد، وعند المريد: هو وقت الإقبال على الله، والجمعيّة عليه، والعكوف عليه بالقلب كلِّه.

والوقت أعزُّ شيءٍ عليه، يَغار عليه أن ينقضي بدون ذلك، فإذا فاته الوقت فلا يمكنه استدراكُه البتّةَ... إلى قوله: وهي غيرةٌ قاتلةٌ، يعني: مُضِرّة ضررًا شديدًا بيِّنًا يُشبِه القتل، لأنّ حسرة الفوت قاتلةٌ، ولا سيّما إذا علم المتحسِّر أنّه لا سبيل له إلى الاستدراك.

وأيضًا فالغيرة على التّفويت تفويتٌ آخر، كما يقال: الاشتغال بالنّدم على الوقت الفائت تضييعٌ للوقت الحاضر ولذلك يقال: الوقت سيفٌ، فإن لم تقطَعْه قَطَعك... إلى قوله: والمقصود أنّ الواردات والأوقات سريعة الزّوال، تمرُّ أسرعَ من السّحاب، وينقضي الوقت بما فيه، فلا يعود عليك منه إلّا أثرُه وحكمه، فاخترْ

لنفسك ما يعود عليك من وقتك، فإنّه عائدٌ عليك لا محالة. ولهذا يقال للسُّعداء: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]، وللأشقياء: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥].اهـ

وعن أبي بَرزةَ الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**». رواه الترمذي، برقم: (٢٤١٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

هذا الحديث يبين أن العمر رأس مال الإنسان، فمن فرّط فيه فقد ضيّع نفسه، والغيرة على الوقت أن يحفظه المسلم لطاعة الله، ويمنع نفسه من ضياعه في المعاصي أو الغفلة.

فمن تمام الغيرة أن يحفظ العبد ساعاته ودقائقه، فلا يرضى أن تذهب فيما لا ينفع، بل يغار على لحظاته كما يغار على عرضه، لأن الوقت هو حياته، ومَن لم يغار على عمره لم يصن أغلى ما أُعطي.

باب الغيرة والوسوسة المذمومة

الغيرة من صفات الكمال إذا وُضعت في موضعها، لكنها إن تجاوزت حدَّها انقلبت إلى وسوسةٍ وظنٍّ سيّئٍ يفسد القلوب ويُفرّق البيوت. فالمؤمن مأمور بالاعتدال، لا إفراط ولا تفريط، إذ الغيرة المحمودة تحفظ، والمذمومة تهدم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات:١٢]، فمن غلبت عليه الشكوك وسوء الظن فقد تجاوز حد الغيرة إلى باب الوسوسة، فصار يؤذي نفسه وأهله، ويُخالف أمر الله باجتناب الظنون الباطلة.

وقد بيّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ خطر هذه الوساوس فقال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ» رواه البخاري، برقم: (٥١٤٣)، ومسلم، برقم: (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فالمؤمن لا يسيء الظن بأهله بغير بيّنة، فإن ذلك من خطوات الشيطان، يزرعها في القلوب ليفسد المودة بين الزوجين.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٤٣٣ ط عطاءات العلم): وهاهنا أقسامٌ أُخرُ من الغيرة مذمومة، منها: غيرةٌ يحمل عليها سوءُ الظَّنِّ، فيؤذي بها المُحبُّ محبوبه، ويُغْري قلبه عليه بالغضب، وهذه الغيرةُ يكرهُها الله؛ إذا كانت في غير ريبةٍ.

ومنها: غيرةٌ تحمله على عقوبة المحبوب بأكثر مما يستحقُّه، كما ذُكر عن جماعة أنهم قتلوا محبوبيهم.

وكان ديكُ الجن الشاعر له غلام وجاريةٌ في غاية الجمال، يهواهما جميعًا، فدخل المنزل يومًا، فوجد الجارية معانقةً للغلام تقبِّله، فشدَّ عليهما، فقتلهما، ثم جلس عند رأس الجارية، فبكاها طويلًا، ثمَّ قال:

يا طلعةً طلع الحِمامُ عليها ... وجنى لها ثمر الرَّدى بيديها
وما بالي أشوِّقُ قلبَ غيري ... ودونَ وصاله سترُ الحِجال

وكثيرٌ من الجهال وصف امرأته ومحاسنها لغيره، فكان ذلك سبب فراقها له، واتِّصالها به

ومنها: أن يحمله فرطُ الغيرة على أن يُنزِّل نفسه منزلة الأجنبي، فيغار على المحبوب من نفسه، ولا يُنكرُ هذا، فإن في المحبة عجائب، وقد قال أبو تمام الطَّائي:

بنفسي من أغارُ عليه منِّي ... وأحسدُ أهله نظري إليه
ولو أني قدرتُ طمست عنه ... عيون النَّاس من حذري عليه
حبيبٌ بثَّ في جسمي هواه ... وأمسك مُهجتي رَهْنًا لديه
فرُوحي عنده والجسمُ خالٍ ... بلا رُوحِ وقلبي في يديه

وقال آخر:

يا منْ إذا ذُكر اسمُه في مجلس ... لذَّ الحديثُ به وطاب المجلس
إنِّي لمن نظري أغارُ وإنَّني ... بك عن سواي من الأنام لأنفسُ
نفسي فداؤُك لو رأيت تلدُّدي ... خضل المدامع مُطرقًا أتنفَّسُ

لعلمـــت أنِّي في هـــواك مُعــذَّبٌ ومــن الحيــاة وروحهــا مســتيئسُ

وقال عليُّ بنُ نصر:

أفاتـــكُ أنـــت فاتكـــةٌ بقلبـــي وحُســنُ الوجــه يَفْتِــكُ بــالقلوبِ

أصونُك عـن جميـع النَّـاس يـا مـن بُليـتُ بهـا فأضـحتْ مـنْ نصـيبي

وعن نفسي أصـونُك ليـت نـفسي تقيـك مـن الحـوادث والخُطـوب

ومـــا حـــقُّ الحِســـانِ عـــليَّ إلَّا صـــيانتهُنَّ مـــن دنـــس الـــذُّنوب

ومنها: شدةُ الموافقة للحبيب، والحبيبُ يكره أن تنسب محبته إليه، وأن يذكر ذلك، فهو لموافقته لمحبوبه يغارُ عليه من نفسه، كما يسرُّه هجرُ محبوبه إذا علم أنَّ فيه مراده، قال الشاعر:

سُرِرتُ بهجـــرك لَّمـــا علمـــــتُ أنَّ لقلبـــك فيـــه سُرورا

ولـــولا سرورُك مـــا سرَّني ولا كنتُ يومًـا عليـه صبُورا. اهــ

قلت: والغيرة إذا امتزجت بالوسوسة أفسدت الحب والطمأنينة، وصارت بابًا إلى التجسس وتتبع العورات، وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢]، وفي الحديث أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» رواه الترمذي، برقم: (٢٠٣٢)، وقال فيه

الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي: حسن صحيح.

فمن تتبع أهلَه بدافع الشك والريبة، كان كمن هدم ستر بيته بيده، وهذه ليست غيرة بل مرض في القلب.

وقد فرّق العلماء بين **الغيرة الشرعية** و**الغيرة الشيطانية**؛ فالأولى تُبنى على علم وعدل، والثانية على ظن وجهل.

الخلاصة: الغيرة غيرتان: غيرةٌ لله، وغيرةٌ لنفسك؛ فأما التي لله فهي أن تغار إذا انتُهكت محارمه، وأما التي لنفسك فهي أن تغار إذا خيف على حقك من الضياع، فإذا تعدّت إلى التهمة والظن صارت من وسوسة الشيطان.

وفي الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ**». رواه أبو داود، برقم: (٢٦٥٩) عن جابر بن عتيك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، وقد تقدم الحديث.

فبيّن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن الغيرة الممدوحة هي التي تقع في موضعها، حين تُخشى الفتنة أو الريبة، وأما التي تنشأ من أوهامٍ لا أصل لها فهي ممقوتة.

والوسوسة المذمومة تورث العداوة، وتطفئ الثقة، وتُنشئ البغضاء بين الزوجين، وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**» رواه البخاري، برقم: (٢٠٣٩)، ومسلم، برقم: (٢١٧٥) عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فإذا تسلّل الشيطان إلى الغيرة زادها حتى يجعلها شكًا دائمًا، وربما

انتهت إلى القطيعة والطلاق.

ولهذا كان السلف يربّون أنفسهم على التثبت وحسن الظن، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا. رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص٥٠).

فمن عاش بهذه القاعدة سلم من الوسوسة، وكانت غيرته عقلًا وعدلًا لا مرضًا وظلمًا، فالغيرة عبادة، والوسوسة آفة، والفرق بينهما كفرق بين النور والنار: الأولى تضيء الحياة وتدفئ القلوب، والثانية تحرق البيوت وتطفئ المودة، فليجاهد المؤمن نفسه أن يزن غيرته بميزان الشرع، لا بعاطفة الشك والظن.

غيرة رجل أودت بفرس للقتل

يحكى أن أعرابيًا في الجاهلية زُفّت إليه عروسه على فرس، فقام فقتل تلك الفرس التي ركبت عليها العروس، فتعجب الجميع من حوله، وسألوه عن سرِّ عمله، فقال لهم: خشيت أن يركب السائق مكان جلوس زوجتي، ولا يزال مكانها دافئًا.

أقول: هذه الحكاية تروى عن بعض الأعراب، وقد أظهر فيها الرجل غيرة شديدة حتى بلغ به الوسواس أن قتل الفرس التي جلست عليها زوجته في ليلة زفافها، مخافة أن يركب السائق مكان جلوسها ويجد أثر حرارتها. ولا شك أن أصل فعله ناشئ من الغيرة، وهي خُلق محمود إذا ضبط بضوابط الشرع، لكنها إذا خرجت عن الاعتدال انقلبت إلى وسواس مذموم وغلوّ ممقوت، فالغيرة المحمودة

هي ما كانت في مواضعها، تحفظ العرض وتصون الكرامة، أما ما زاد عن ذلك حتى يؤدي إلى التصرف بطيش وسوء ظن وتكلف لا يقره عقل ولا شرع، فذاك غيرة غير منضبطة، قد تفسد أكثر مما تصلح، لذا يُذكر هذا الموقف للتنبيه على أن الغيرة إن لم تُهذّب بنور الشرع والعقل، قد تتحول من فضيلة إلى رذيلة(١).

والخلاصة في هذا الباب المهم: أن الإفراط في الغيرة آفةٌ تفسدُ أكثر مما تُصلح، وتُخرج الغيرة عن حدودها الشرعية إلى وسوسةٍ مَرَضيّةٍ تُفرّق بين الأزواج وتملأ البيوت خوفًا وريبةً، والشرع إنما أمر بالغيرة **الموزونة بالعلم والعدل** لا الغيرة العمياء التي تهدم الثقة وتفتح باب الشك، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات:١٢]، فهذا أصل عظيم في كبح جماح النفس عن الغلو في الغيرة، لأن الظن إذا تجاوز حدَّه صار بهتانًا وإثمًا، وكم من بيتٍ خربه الظنّ قبل أن تثبت الحجة.

إن الغيرة في أصلها **حرارة إيمانية تحفظ الكرامة**، ولكن إذا تجاوزت العقل والشرع صارت مرضًا يلتهم الطمأنينة ويزرع الريبة في كل حركةٍ وسكون، وقد شبّه بعضهم من يفرط في الغيرة بمن يسقي الزرع ماءً كثيرًا حتى يُفسده، قال بعضهم: إن للغيرة موضعًا، فمن وضعها في غير موضعها كان كمن أراد أن يُعين

---

(١) هذه قصة متناقله مشهورة لم أجد لها مصدرا وذكرتها متعجبا ومنبها أن فعله هذا وسواس.

الحق فظلم.

ومن علامات الإفراط في الغيرة: كثرة التجسس، وسوء الظن الدائم، والمبالغة في مراقبة الأهل، واتهامهم بلا بيّنة، وهذه الصفات ليست من الدين، بل من تسلط الشيطان، فتتبع العورات من أخطر صور الغيرة المريضة التي تزرع الفساد في البيوت، وتُطفئ المودة والسكينة التي جعلها الله بين الزوجين.

وقد كان السلف يغارون بغير إسراف، ويضبطون غيرتهم بعقلٍ ودينٍ، وقد قيل: من كثر ظنّه كثر همّه، أي: أن كثرة الشك تورث الحزن والضيق والوسوسة، ولهذا كان التوكل وحسن الظن بالله من أعظم ما يُسكّن النفس ويمنعها من الغلو في الغيرة.

وفي الصحيح أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**» رواه البخاري، برقم: (٦٩٢٧)، ومسلم، برقم: (٢٥٩٣) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، فمن وفقه سبحانه أن جعل الغيرة عبادةً حين تكون بحكمة، وذنبًا حين تكون بهوسٍ ووسوسةٍ وظنٍّ باطلٍ، لأن الشريعة تريد استقرار النفوس لا اضطرابها.

وفي الإفراط في الغيرة مفاسد عظيمة: منها **هدم الثقة الزوجية**، وفتح أبواب التجسس، وإيقاد نار الخصومات، وقد تؤدي إلى الطلاق والقطيعة، وربما إلى الإثم العظيم بظلم البريء، وقد قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» رواه مسلم، برقم: (٤) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ،

فكيف بمن يظن السوء ويشيع التهمة؟ إن قلبه مريض، لا يعرف الطمأنينة حتى يتوب إلى الله.

فعلى المؤمن أن يقتدي بغيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد كان أغير الناس على محارم الله، ولكنه لا يظلم، ولا يتبع الظنون، ولا يسيء الظن بأهله، بل كان يعدّل بين الغيرة والرحمة، فهذه هي **الغيرة الشرعية الراشدة**، التي تحفظ الكرامة دون أن تفسد المحبة.

فالغيرة عبادة إذا قادها العقل، ومعصية إذا قادها الشك، والموفَّق من جمع بين حرارة الإيمان وبصيرة الحكمة، فأحبّ بعين، وراقب بقلبٍ مطمئنٍ، واستحيا من الله أن يُسيء الظن بمن أكرمه الله بهم.

باب ما جاء في تربية الأبناء على الغيرة

تربية الأبناء على الغيرة من أهم ركائز بناء الشخصية المسلمة، لأنها تُنشئ القلب على الكرامة والعفة، وتُورث الإيمان والنخوة والمروءة، فالغيرة ليست طبعًا يُكتسب صدفة، بل خُلق يُغرس منذ الصغر بالتعليم والقدوة والتربية الإيمانية، وقد أمر الله تعالى الآباء أن يكونوا حماةً لأهلهم من النار، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، فالأمر هنا يشمل حماية الأبناء من أسباب الفتنة والفساد، ومن أعظمها ذهاب الغيرة، لأن من لا يغار لا يصون نفسه ولا عرضه، فتضيع الأمانة، ويختلّ الدين.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه البخاري، برقم: (٨٩٣)، ومسلم، برقم: (١٨٢٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالتربية على الغيرة من أوضح صور الرعاية، إذ تعني أن يغرس الأب في ابنه مراقبة الله، وأن يُعلّمه أن الكرامة لا تُشترى ولا تُباع، وأن من ضعف حياؤه سقطت غيرته، ومن فقد غيرته هان عليه عرضه ودينه.

ومن وسائل التربية على الغيرة: **القدوة العملية**، فالأب إذا كان غيورًا على محارمه، حريصًا على صيانة بيته من أسباب الفتنة، تأثر به أبناؤه دون وعظٍ طويل، لأن الغيرة تُورث بالنظر قبل القول. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ

﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب:٢١]، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كان أغير الناس على محارم الله، ومع ذلك كان رفيقًا رحيمًا، يوازن بين غيرته وحكمته، فكان يربي الأمة بالقدوة قبل الكلمة.

ويجب على المربي أن يُعلّم أبناءه **أن الغيرة عبادةٌ قلبية**، مصدرها محبة الله، وأن الله يغار إذا انتهكت محارمه، كما في الحديث، فالابن حين يعلم أن الغيرة صفة يحبها الله، فإنه يتربى على أن يكون غيورًا لله لا لهواه، يغار إذا رأى المنكر، ولا يرضى بالدناءة أو التساهل في حدود الله.

كما ينبغي أن يُغرس في الابن الحياء، لأنه أصل الغيرة، والحياء والغيرة توأمان، إذا فقد أحدهما تبعه الآخر، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**» رواه البخاري، برقم: (٦١١٧)، ومسلم، برقم: (٣٧) عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فالولد الذي يُربّى على الحياء من الله والناس، سيحفظ عينه من النظر الحرام، ولسانه من البذاءة، وجسده من التعري، وقلبه من الريبة، وهذه كلها ثمار الغيرة الصادقة.

ومن التربية العملية أن يُعلَّم الأبناء **حدود التعامل بين الرجل والمرأة** منذ الصغر، فلا يُترك الصبي أو الفتاة بلا توجيه، بل يُبيَّن لهما أن الاختلاط والتساهل في النظر والمزاح لا يليق بالمؤمنين والمؤمنات، قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ [النور:٣٠]، ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ

﴿يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، فهذه التربية القرآنية تُنبت الغيرة في القلوب، لأنها تدرّبها على الحياء والعفة من الصغر.

ومن مظاهر ضعف الغيرة اليوم ترك الآباء لبناتهم وأبنائهم في شبكات التواصل، بحجة الثقة، في حين أن الثقة لا تُغني عن التربية والمتابعة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» رواه البخاري، برقم: (٧١٥١)، ومسلم، برقم: (١٤٢) واللفظ له، عن معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والغش في التربية يشمل ترك الأبناء فريسة للفتن دون نصحٍ أو ضبطٍ أو حزمٍ رحيمٍ.

وينبغي أن يُربّى الأبناء كذلك على **الغيرة على الدين**، لا على الأهل فحسب، فيُعلّم أن الغيرة التي يحبها الله ليست فقط أن يمنع الحرام في بيته، بل أن يغار على حدود الله في المجتمع، وأن ينكر المنكر بالحكمة، ويحب الصالحين، ويكره الفساد، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم، برقم: (٤٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ففي هذا الحديث تربية عملية على الغيرة الشرعية التي تحفظ دين الأمة، وتزرع في القلب الحمية للحق، والأنفة من الباطل.

ولا بد أن يوازن المربي بين الغيرة والتعليم، فلا يجعلها عنفًا ولا قسوة، بل يعلّم ابنه أن الغيرة خلق الأنبياء، وأن من فقدها فهو ميت القلب، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ» رواه ابن ماجه،

برقم: (٤١٨١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

فإذا اجتمع الحياء والغيرة في قلب الشاب نشأ عفيفًا غيورًا وقورًا، وإذا فقدهما صار جريئًا على المعصية، متهتكًا في سلوكه.

إن تربية الأبناء على الغيرة لا تكون بكثرة الكلام، بل بصدق المثال وحرارة الإيمان في البيت، الأب الذي يغار على ابنته في لباسها، وعلى ابنه في صداقاته، هو الذي يغرس فيهم مراقبة الله من غير وسوسة ولا ريبة، وإنما تربية قائمة على العلم والإيمان والرحمة.

فمن أراد صلاح ولده فليغرس في قلبه الغيرة على الدين والعرض، فإنها عنوان الرجولة والإيمان، ومن ربّى ولده بغير غيرة، فقد سلّمه إلى الهاوية.

باب وصايا في إحياء الغيرة في الأمة

قيل: قَالَ هَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ الشَّيْبَانِيُّ وَكَانَ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ: مَا فَجَرَ غَيُورٌ قَطُّ، يَقُولُ: إِنَّ الْغَيُورَ هُوَ الَّذِي يَغَارُ عَلَى كُلِّ أُنْثَى

قوله: **ما فجر غيور قط**، أي: لم يُعرف في الناس أن رجلًا **صادق الغيرة** قد ارتكب الفاحشة أو الفجور؛ لأن الغيرة الحقيقية تحجز صاحبها عن الوقوع فيما يعيبه أو يخدش شرفه، فهي سياج للعِرض وحافظ للدين والمروءة.

إن الغيور هو الذي يغار على كل أنثى أي: الغيور الصادق لا يغار على زوجته فقط، بل تغار نفسه على **كل امرأة** يُراد بها سوء أو تُنتَهك حرمتها، سواء كانت قريبته أو أجنبية، لأن غيرته نابعة من الإيمان والشرف، لا من الأنانية أو التملك.

خلاصة القول: يريد همّام أن يبيّن أن **الغيرة الصادقة دليل الطهارة والعفاف**، وأن من امتلأ قلبه بها لا يمكن أن يقع في الفجور، وأنها خُلقٌ عامٌّ يشمل حفظ جميع النساء من الانتهاك، لا خصوص الزوجة فقط.

إن الغيرة شعبة من شعب الإيمان، ومتى خمدت نارها في القلوب، ضعفت الأمة وتكاثرت عليها الفتن، وانطفأت حميّتها لدينها وعِرضها، وصارت الأعراض تُنتهك والمنكرات تُجاهر، فلا نكير ولا غيرة، ولهذا كان من أعظم الواجبات على العلماء والمصلحين أن يُحيوا الغيرة في نفوس المسلمين، رجالًا ونساءً، حكامًا ومحكومين، لأن الغيرة حياة الدين، وموتها موت الضمائر.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠]، فالتعظيم أصل الغيرة، لأن من عظّم حدود الله غار إذا انتُهكت، واشتعلت في قلبه حرارة الإيمان التي تدفعه للإنكار والنصيحة والدعوة، وكلما زاد تعظيم العبد لربه زادت غيرته على محارمه.

فأول الوصايا: أن يُعلَم الناس أن الغيرة ليست عادةً اجتماعية، بل عبادة قلبية، مستمدة من غيرة الله عَزَّوَجَلَّ على محارمه، وهي دليل صدق الإيمان، وعنوان المروءة والعفة. فمن غار لله، رفعه الله، ومن تهاون بها، سقط في دركات الذلّ والدياثة.

وثاني الوصايا: أن يُجدّد العلماء والدعاة خطابهم في هذا الباب، فيربطوا الغيرة بالإيمان، لا بالعادات، ويُبيّنوا أن ضعف الغيرة علامة ضعف العقيدة، لأن من آمن بعظمة الله لا يرضى بانتهاك حدوده، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣]، وهذا التحريم إعلان من الله يوجب على المؤمن أن يغار على حدود الله كما يغار على دمه وعِرضه.

وثالث الوصايا: أن يُربّى الجيل الجديد على أن الغيرة ليست تضييقًا على النساء ولا تسلطًا عليهن، بل صيانة لهن ورفعة، فالغيرة الحقيقية تحفظ المرأة لا تُهينها، وتُربيها على الحياء والعفة، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» رواه مسلم، برقم: (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

والمرأة الصالحة لا تكون صالحة إلا إذا غار زوجها عليها، وغارت على شرفها ودينها، وصانت نفسها بحيائها وخوفها من الله.

ورابع الوصايا: أن تُحيي الغيرة في البيوت، وذلك بالقدوة، فالوالد إذا رأى أبناءه يتساهلون في النظر أو التبرج أو خوض المواقع الفاسدة، ولم يُنكر، فإنه يُميت الغيرة في البيت بيده، والغيرة تُورّث بالعمل لا بالكلام، فمن ربّى أهله على الحياء والاحتشام والبعد عن أسباب الريبة، كان قد أحيا الغيرة في بيته، وإن لم يُكثر الكلام.

وخامس الوصايا: أن تُحيي الغيرة بكل وسيلة مشروعة كعرض النماذج المروية عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ والصحابة والسلف الصالح عموما فإن الأمة التي تُربّي أبناءها على القدوات الفاسدة تموت غيرتها قبل أن تموت أجسادها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البقرة:٢٠٥]، فالإعلام الفاسد يُميت الغيرة شيئًا فشيئًا، حتى يصبح الحرام مألوفًا، والمنكر محبوبًا، والعفّة غريبة، ومن هنا وجب على الغيورين أن يجاهدوا بألسنتهم ويعيدوا للأمة حميّتها التي كانت شعار المؤمنين الأوائل.

وسادس الوصايا: أن يُذكّر الناس بأن الغيرة لا تكون فقط على الأعراض، بل أيضًا على **الدين والعقيدة**، فمن رأى بدعة أو كفرًا أو استخفافًا بالشريعة، فليس له أن يسكت، بل يغار على دين الله، وبالحكمة لأن الدين أعظم من العرض، فالمؤمن يغار على حرمات الله أينما انتُهكت، ولو في أبعد مكان، لأن غيرته لله لا تتجزأ.

وسابع الوصايا: أن تُحيى الغيرة بالحياء، لأنهما قرينان لا يفترقان، فإذا مات الحياء، ماتت الغيرة، وإذا عاش، أحيى الأمة، فلا بد من تربية الأمة على الحياء، لأنه الأصل الذي تُبنى عليه الغيرة.

وأخيرًا، ينبغي أن يُعلم أن إحياء الغيرة لا يكون بالغضب الأعمى ولا بالعنف، وإنما **بالعلم والرفق والحكمة**، فالغيرة إذا لم تضبط بالعلم انقلبت وسوسة أو ظلمًا، فالغيرة الصادقة تثمر إصلاحًا، لا فوضى، وتدفع صاحبها إلى حماية الدين والأخلاق بالحكمة، لا بالتسرع وسوء الظن.

فالواجب على الأمة اليوم أن تُراجع نفسها، وأن تبعث في قلوب أبنائها حرارة الغيرة الإيمانية التي كانت تحرك جيل الصحابة، حتى لا تُصبح الأمة جسدًا بلا روح، ولا دينًا بلا حميّة، ومن ماتت غيرته، مات دينه، ومن أُحييت في قلبه، عاش قلبه بالإيمان والعزّ والحياء.

الأحاديث الضعيفة في الغيرة

ومن تمام الفائدة أن أذكر هنا ما ورد في الغيرة من أحاديث لم تثبت، إذ كانت تمرّ بي أثناء الجمع فأحقّقها، فما تبيّن لي ضعفه ركنته، وجمعتُها في هذا الموضع ليطّلع القارئ عليها على بينة، ويكتمل الباب علمًا وتحقيقًا.

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَأَلْقَى عَلَيْهَا ثَوْبًا وَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أَحْسَبُهَا امْرَأَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَحْسَبُهَا غَيْرَى، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَتَبَ الْغَيْرَةَ عَلَى النِّسَاءِ، وَالْجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ، فَمَنْ صَبَرَ مِنْهُنَّ كَانَ لَهَا أَجْرُ شَهِيدٍ» رواه البزار كما في البحر الزخار، برقم: (١٤٩٠)، والطبراني في الكبير، برقم: (١٠٠٤٠)، وفيه علتان:

العلة الأولى: عبيد بن الصباح النهشلي ضعيف الحديث.

العلة الثانية: كامل بن العلاء التميمي جاء في «تذكرة الحفاظ لابن القيسراني أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان (ص٧٩) قال: وَكَامِلٌ هَذَا يَرْوِي الْمَنَاكِيرَ عَنِ الثِّقَاتِ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْمُتَقَدِّمُونَ، وَذَكَرَهُ. اهـ

والحديث أورده الذهبي في ترجمته من «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٠١).

الحديث الثاني: عن سعيد بن عبادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَضَرَ رسولَ الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سعدُ بن عُبادة، فقال: يا رسول الله، إِنْ وجدتُ على بطنِ امرأتي رجلًا، أَضربُه بسيفي؟ قال: «أَيُّ بيِّنةٍ أَبْيَنُ من السَّيف؟!» قال: ثم رَجَعَ عن قوله، فقال: «كتابُ الله والشُّهداءُ» قال سعدٌ: يا رسولَ الله، أَيُّ بيِّنةٍ أبينُ من السيف؟ قال: «كتابُ الله والشُّهداءُ، أيا مَعْشرَ الأنصار، هذا سيِّدُكم استَفَزَّتْه الغَيْرةُ، حتى خالَفَ كتابَ الله» قال: فقال رجل: يا رسولَ الله، إِن سعدًا غَيُورٌ، وما طلَّقَ امرأةً قطُّ قَدِرَ أَحدٌ منَّا أَن يتزوَّجَها لغَيْرتِه، قال: فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «سعدٌ غَيُورٌ، وأَنا أَغْيرُ منه، والله أَغْيرُ منِّي»، قال رجلٌ: على أَيِّ شيءٍ يَغارُ الله؟ قال: «على رجلٍ مُجاهِدٍ في سبيل الله يُخالَفُ إلى أَهلِه» رواه أحمد في مسنده (٤٤٨/٣٩)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، برقم: (٧٧٣١)، وقال: رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي التَّفْسِيرِ فِي سُورَةِ النُّورِ، وَفِيهِ أَبُو مَعْشَرٍ نَجِيحٌ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. اهـ

قلت: والحديث أصله في الصحيح على ما تقدم في غيرة سعيد، لكن بغير هذه الزيادة.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْغَيْرَةُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالْمِذَاءُ مِنَ النِّفَاقِ»، قَالَ: قُلْتُ: مَا الْمِذَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِي لا يَغَارُ» رواه البزار كما في كشف الأستار، برقم: (١٤٩٠)، وفي إسناده أبو مرحوم، واسمه عبد الرحيم بن كردم البصري، قال الذهبي: ليس بواه، ولا مجهول الحال، ولا هو بالثبت.

وأورده ابن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام» (٤/ ٤٥٩)، وقال: قَالَ أَبُو حَاتِم: إِنَّه يروي عَن الزُّهْرِيّ، وَزيد بن أسلم، روى عَنهُ أَبُو عَامر الْعَقدي، وَأَبُو أُسَامَة، وَمعلى بن أسد، وَإِبْرَاهِيم بن الْحجَّاج السَّامِي، قَالَ ابْنه أَبُو مُحَمَّد: سَأَلته عَنهُ فَقَالَ: مَجْهُول.

فَانْظُر كَيفَ عرفه، وَعرف رِوَايَة جمَاعَة عَنهُ، ثمَّ قَالَ فِيهِ: مَجْهُول.

وَهَذَا مِنْهُ صَوَاب. اهـ.

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي غَيُورٌ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ غَيُورًا، وَمَا مِنَ امْرِئٍ لَا يَغَارُ إِلَّا مَنْكُوسُ الْقَلْبِ**». رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (١٧٧١٣)، وفيه علتان:

العلة الأولى: الإرسال، فأبو جعفر هو الباقر، واسمه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب تابعي.

العلة الثانية: يرويه الليث بن أبي سليم القرشي عن جعفر، وليث ضعيف.

الحديث الخامس: قال الدولابي في كتابه الذرية الطاهرية النوبية (٥٧): قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ يَغَارُ لِبَنَاتِهِ غَيْرَةً شَدِيدَةً، وَكَانَ لا يُنْكِحُ بَنَاتَهُ عَلَى ضَرَّةٍ، وهو كما ترى منقطع، وفيه مبهمين.

الحديث السادس: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ

اللهَّ يُحِبُّ الْوَالِيَ الشَّهْمَ، وَيُبْغِضُ الْوَالِيَ الرُّكَاكَةَ» قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ: «**الرَّكَكَةَ**»(١) رواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٣٠٧)، وفيه عبد الله بن معاوية الأسدي منكر الحديث ضعيف.

وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٢٨٠): هَذَا حَدِيثٌ لا أَصْلَ له.

قال العقيلي: عَبْد اللهَّ بْن مُعَاوِيَة يحدث عن هشام بمناكير لا أصل لها، وقال: الْبُخَارِيّ منكر الحديث. اهـ

الحديث السابع: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: [وذكر الحديث بطوله وفيه]: قال: «**إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، عِنْدَهَا يَحُجُّ أُمَرَاءُ النَّاسِ لَهْوًا وَتَنَزُّهًا، وَأَوْسَاطُ النَّاسِ لِلتِّجَارَةِ، وَفُقَرَاءُ النَّاسِ لِلْمَسْأَلَةِ، وَقُرَّاءُ النَّاسِ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ**»، قَالَ سَلْمَانُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَإِنَّ هَذَا لَكَائِنٌ؟ قَالَ: «**إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، عِنْدَهَا يُغَارُ عَلَى الْغُلامِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْجَارِيَةِ الْبِكْرِ، وَيُخْطَبُ الْغُلامُ كَمَا تُخْطَبُ الْمَرْأَةُ، وَيُهَيَّأُ كَمَا تُهَيَّأُ الْمَرْأَةُ، وَتَتَشَبَّهُ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَتَتَشَبَّهُ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَيَكْتَفِي الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَتَرْكَبُ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ السُّرُوجَ، فَعَلَيْهِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَعْنَةُ اللهَّ**» رواه المعافى في كتابه الجليس الصالح (٤٤٦)، وفيه سليم بن مسلم الخشاب متروك الحديث، وأيضا الإسناد مسلسل بالمجهولين.

---

(١) الرَّكَكَة: أي: ضعيف الشخصية والغيرة.

الأثر الخامس: قال ابن جرير في تفسيره (١٩/ ١٦١): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النور:٣١]. قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَتْبَعُ الرَّجُلَ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ لا يَغَارُ عَلَيْهِ وَلا تَرْهَبُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَضَعَ خِمَارَهَا عِنْدَهُ، وَهُوَ الأَحْمَقُ الَّذِي لا حَاجَةَ لَهُ فِي النِّسَاءِ.

مسلسل بالضعفاء والمجهولين.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة في رياض الغيرة، وما اشتملت عليه من نصوصٍ وأقوالٍ وآثارٍ، يتبيّن للقارئ أن الغيرة ليست خُلقًا عابرًا ولا انفعالًا وقتيًّا، بل هي **ركنٌ أصيل من مكارم الأخلاق**، وسِمةُ كل مؤمنٍ صادقٍ في غيرته على دينه وعِرضه ومحارم الله.

وقد حاولتُ في هذه الدراسة أن أجمع أطراف هذا الباب، موضّحًا حدّ الغيرة الشرعية وضابطها، ومبيّنًا ما ورد فيها من نصوصٍ صحيحة، لتكون زادًا للمسلم، ودليلًا على سموّ هذا الخُلق في ميزان الشرع والعقل والمروءة، وفيما يلي خلاصة ما توصّلتُ إليه من نتائج وتوصيات بعد التأمل في نصوص هذا الباب الجليل.

أولًا: أهم النتائج:

١) الغيرة صفة عظيمة، وهي من صفات الله جَلَّ وَعَلَا، ومن أعظم دلائل محبته لعباده، إذ حرّم الفواحش صيانة للأعراض وحفظًا للقلوب.

٢) الغيرة من كمال الإيمان، وهي دليل حياة القلب، وفقدانها علامة موته وفساده.

٣) الغيرة خلق من أخلاق الأنبياء والمرسلين والصالحين تخلقوا بها واقتدى بهم من بعدهم من أممهم.

٤) كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في غاية الغيرة على حدود الله، ومع ذلك

صبر على غيرة أزواجه وعالجها بالحكمة، مما يبين التوازن في هذا الباب.

٥) كان الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أشد الناس غيرة، يعدّون فقدانها خيانة لله ورسوله وللأمانة.

٦) الدياثة من كبائر الذنوب، وصاحبها لا يدخل الجنة، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

٧) العرب في جاهليتهم كانوا يفتخرون بالغيرة ويعدونها من مكارم الأخلاق، فجاء الإسلام فأقرّ الصحيح منها وضبطها بالشرع.

٨) فقدان الغيرة في المجتمعات سبب لانهيار الأخلاق وانتشار الفواحش، كما نشاهد في الواقع المعاصر.

ثانيًا: أبرز التوصيات:

١) تربية الأبناء منذ الصغر على الغيرة الشرعية، وربطها بحب الله ورسوله.

٢) التحذير من الدياثة وبيان خطرها في الخطب والدروس والدعوة، لأنها من أعظم أسباب هدم البيوت.

٣) تنبيه الأزواج إلى أن الغيرة المحمودة تحفظ لهم الدين والعرض، وأن الإفراط فيها يؤدي إلى الوسوسة، والتفريط يوقع في الدياثة.

٤) إحياء سيرة السلف الصالح في هذا الباب، وعرض نماذجهم في مناهج التعليم وغيرها.

٥) التواصي بين المسلمين بالغيرة على الأعراض والدين، فإنها سياج الأمة وحصنها المنيع.

الخلاصة: إن الغيرة صمام أمان للأمة، وهي الحارس الأمين على الدين والعرض، فإذا ضاعت الغيرة ضاع الشرف، وذهبت المروءة، وهلكت القلوب. فاللهم أحينا بغيرة على حدودك، وارزقنا اتباع نبيك، واحشرنا في زمرة الغيورين الذين لا يرضون بانتهاك محارمك.

الفهرس:

صدر حديثًا للمؤلف

